

## اللغة العربية الفصحى بين كفاية الاحتواء وادعاء العجز

د. راند مصباح الداية، جامعة فلسطين – غزة

تاريخ الاستلام: 2019/2/10، تاريخ القبول: 2020/2/2

### الملخص:

قد أثبتت اللغة العربية حضورها منذ قديم الزمان، واستطاعت في عصر ما أن تستوعب العلوم الوافدة من خلال الترجمة، ثم بدأ التأليف فيها، فبرزت مصطلحات ومفاهيم جديدة بأعداد مؤلفة، لدرجة أنّ العرب وضعوا تلك العلوم كالهندسة والطب وغيرهما في منظومات يحفظها أطفالهم في الكنايب، ذلك كله يشهد على تفوق تلك اللغة، فضلاً عن قدسيّتها التي استقتها من القرآن الكريم، فجعلتها تجري على ألسن العرب والعجم، وهياً لها أن تقفز من الجغرافية العربية؛ لتجوب بلاد الغرب، وتسيطر على كل لسان. وبعد جملة من المتغيرات التي وقعت لبلاد العرب والمسلمين تراجع تمسك كثير من أهلها بها، وانزوا ناحية تلك المتغيرات ومحدثيها؛ حتى علت بعض اللغات، وانتشرت على حساب اللغة العربية، ولأسباب كثيرة تواردت منعته أن تجاري تلك اللغات التي استطاع أصحابها السيطرة على جزء كبير من حياة الناس، وتمكنوا من الهيمنة الجغرافية والسياسية والعلمية، لدرجة تأخرت فيها العربية عن ملاحقتها، وإدراك كل ما وصلت إليه، ورغم ذلك فالعربية ما زالت تعد من كبرى اللغات العالمية، وما زال أبنائها وخصومها على حدّ سواء يدركون أنّ علّة ذلك ليس فيها إنما فيمن يتولّى زمام الأمة، ولم يخل الواقع من صحبات هنا وهناك تيرهن صحة ذلك، وتؤكد قدرتها في احتواء العلوم كلها، ومنها هذا البحث المتواضع.

**الكلمات المفتاحية:** العلوم، اللغة العربية الفصحى، كفاية الاحتواء، ادعاء العجز.

### Abstract:

Arabic has proved its presence since ancient times. In one of the eras, it was able to absorb the incoming sciences through translation. Then its authorship began; consequently, thousands of terms and concepts emerged to the extent that Arabs integrated such sciences, as engineering, medicine and others in systems which were memorized by their children in koranic schools. All of that testified the

superiority of Arabic language, as well as the Sanctity it acquired from the Holy Quran. Thus, it was spoken by Arabs and non-Arabs. This caused it to jump from the Arabs' geographic areas, to spread to the western countries and to outperform each tongue. After a number of changes that took place for the Arab and Muslim countries, many of their people fell back from being adherent to it and declined towards the changes and towards those who caused them. The result was that some languages rose and spread at the expense of Arabic language. For many reasons, those languages whose speakers managed to control large parts of people's lives prevented Arabic from keeping up with them. They were able to practice geographic, political and scientific hegemony to the extent that Arabic language fell back from keeping up with them or to achieve what they reached to. In spite of that, Arabic is still considered one of the major universal languages; both its people and opponent alike have realized that the reason of its falling back is those who take the reins of the nation. Indeed, there are protests here and there that demonstrate the validity of this, and confirm its ability to cover all sciences. This modest research is one of them.

**Key words:** science, standard Arabic, the adequacy of containment, claim of Incapacity.

#### المقدمة:

اللغة العربية واحدة من اللغات العالمية التي يتكلم بها ملايين البشر، فضلاً عن كونها لغة القرآن الكريم التي تعهد الله - تعالى - بحفظها ضمناً لما أكد حفظه لكتابه، كما في قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، مؤكدات عدّة رشحت بها الآية الكريمة السابقة، تتعاقد معاً في نسيج لغوي متصل؛ لإقرار حقيقة الصلة بين الكتاب المقدس - القرآن الكريم - واللغة العربية، فقد أكد الربُّ الأعلى سبحانه - تعهده بحفظ كتابه من الباطل، والتحريف، والتغيير، والتنشويه، ومعه جاء حفظ اللغة العربية؛ لكونه لا يحفظ إلا بها، فقد نزل بلسان أهلها، كما أنّ بقاء الناس في عبادة ربهم بتلاوة كتابه هو ترسيخ لوجود العربية في حياتهم. ومن جهة أخرى فاللغة العربية هي لغة القومية التي تمتد من الزمن القديم، مروراً بمراحل الحياة المختلفة، وتقلبات الحكم المتعددة، بدءاً من الجاهليين، مروراً بصدر الإسلام، ثم الإسلامي الأموي، فالعباسي، ثم المملوكي، حتى اليوم، ما زال العرب يتكلمون بعربيّتهم، ويتلصقون بها، كما أنّ العربية استقرت لغةً للعلوم، وقد فتحت شهية الحاقدين لما كانت كذلك، فأحرقوا الكتب التي كتبت بها تارة، ثم أغرقوا كتباً تارة أخرى، وما زالوا يحاربونها بوسائل شتى، وأساليب عدة؛ نيلاً من قدراتها، وإزهاقاً لحضارات أصحابها، وها هي اليوم تواجه أشرس حملة من أعدائها، وبعض أبناء جلدتها، تشويهاً واتهاماً

وتحريفًا. وفي هذه الورقيات يبحث البحث في كفاية اللغة العربية، لاسيما بعد أن نالت منها الدعوات دَمًا وقدحًا بلا دليل، أو لمجرد أن أخذوا عن بعض الأعاجم بعضًا من العلوم، وفيها يُنَبِّتُ قدرتها وتفوقها على تجاوز العقبات التي تسبب أهلها بها؛ ليس قصورًا فيها، وإنما منهم، واضعًا بعض التوصيات التي تعيد لها نضارتها، وتكشف عن قوتها ومثانتها؛ إثباتًا لحقها في الحياة والديمومة.

**أهمية البحث:** تكمن أهمية البحث في بيان حال اللغة العربية المعاصرة مع العلوم المختلفة، سواءً أكانت علمًا إنسانية أم تطبيقية، والكشف عن مدى استيعابها لها، وإبانة دلائل قدرتها على ذلك الاستيعاب، مع بيان أبرز المعوقات التي تقف في طريقها، والكشف عن ملامح الضعف في استقبال العلوم في مدد زمنية مختلفة لاسيما في الزمن المعاصر، مع الوقوف عند أبرز الأسباب في ظهور تلك المعوقات؛ وذلك يكشف حال اللغة العربية وحقيقتها في احتواء العلوم، ويأتي هذا كله؛ للتأكيد على مكانة اللغة العربية بين لغات العالم من حيث السعة والانتشار والتأثير، والإفصاح عن قدراتها الفائقة - بما امتازت به من ميزاتٍ وسماتٍ خاصة - في عملية الاستيعاب للعلوم كافة، والذي يعدُّ امتدادًا لتراثها الماضي الزخم.

**أهداف البحث:** في الحقيقة أنَّ كلَّ دراسة تُعنى باللغة العربية؛ دفاعًا عنها، أو إنصافًا لها، أو عرضًا لميزاتها وسماتها، أو تناولًا لفرعٍ من فروعها، أو موضوعٍ من موضوعاتها، هي دراسة شريفة، وجهدٌ نفيس، وعملٌ مثرٌ نبيل، ولهذا البحث جملةٌ من الأهداف العامة التي سعى البحث جَهْدَه؛ للوصول إليها، وتحقيقها، وبلوغها، ومن أهمها:

- بيان حال اللغة العربية في استيعاب العلوم قديمًا.
  - التأكيد على قدرتها الذاتية في إمكانية احتواء العلوم كافة في العصر الحديث خاصة.
  - نفي العجز الذاتي عنها، وإبطال مزاعم المدعين قصورها، وعجزها، عن استيعاب العلوم.
  - الوقوف عند الأسباب والمعوقات الخاصة التي تقف حائلًا أمام احتوائها للعلوم.
- منهج البحث:** اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لاستكناه حقيقة حال كفاية اللغة العربية في احتواء العلوم المختلفة كافة، مظهرًا ملامح الكفاية، كاشفًا عن دلالاتها، وفي الوقت ذاته يرصد أسباب الضعف، ويثبت بطلان ادعاء البعض بعجزها، منهم: (لويس عوض)، و(سلامة موسى)، وغيرهما، فقد هدفوا إلى هدم الفصحى؛ بل إلى تغييرها للغة أخرى، إلا أنَّ الحملة التي قتموا بها على اللغة العربية الفصحى التي هدفوا إلى القضاء عليها لم تستطع أن تنال منها، وإنما دفعت كثيرًا من أبنائها إلى القيام بأبحاث قيمة؛ للزود عنها، كان لها فضل كبير في الكشف عن أسرار العربية الفصحى ودقائقها، وبيان عراققتها وقدرتها على مسايرة الحضارات في مختلف العصور... وإنَّ الجهود الضخمة التي بذلها في سبيل تدعيم العامية والترويج لها لم تستطع تدعيم العامية؛ بل لقد كشفت عن كثيرٍ من نقائصها، وعدم كفايتها في التعبير<sup>(1)</sup>، وهذا هو الحقيقة نفسها التي يؤكدُها واقع العامية اليوم، فما زالت الفصحى تتمتع بالحياة، وتتوسع رغم بطء ذلك في العلوم كافة.

## مدى كفاية اللغة العربية في احتواء العلوم الإنسانية:

اللغة العربية كونها من اللغات (المنطوقة/المكتوبة) تتكون من مركبين رئيسيين، هما: المبنى والمعنى، وتتفرع دراستهما إلى مستويات لغوية خمسة معروفة، وثمة ميزات يُتميز بها كلُّ مستوى منها عن ذات المستوى في اللغات الأخرى، وهناك ميزات تنشأ من تلاحم تلك المستويات التي يتشكل منها النص اللغوي الذي يكتمل بناؤه بها، ومعيار الخلوص إلى تلك الميزات هو الحسُّ والذوق بالتوافق مع المقاييس اللغوية، فيقدر ما يكون المعنى دقيقاً في التعبير عن الحاجات الإنسانية يتأثر المتلقون به، ويتفاعلون معه، وينغمسون فيه، ويدركون جماله، ويفهمونه، ويتحقق مغزاه عندهم لاسيما إن وافق الإحساس والذوق والأفيسة اللغوية. أمَّا الحديث عن عدد حصر ميزات اللغة العربية فهذا محال، وغير ممكن على الإطلاق؛ لأنَّ التطور اللغوي مستمرٌّ لم يتوقف.

إنَّ اللغة العربية ما زالت تتجدد يوماً بعد يوم، وتطورها وتجدها لا يمنح فرصةً للدارسين؛ كي يقفوا عند حصرٍ مُحدَّد لميزاتها، فهي تتمتع بجملة من الميزات التي تنتزع إلى فروعها ومستوياتها، ولا يستطيع البحث ذكرها جميعاً؛ لكون المقام لا يتسع لذلك، وهذا ما أكَّده الكثيرون، منهم: (تمام حسان)، و(رمضان عبد التواب)، (محمود فهمي حجازي)، وكذا ما قاله (كمال بشر)، من أنَّ "سمات عربيتنا هذه كثيرة كثيرة فائقة، هي - في الحق - جملة القواعد والقوانين الضابطة لها، ولاستعمالاتها"<sup>(2)</sup>، وما يهتم به البحث هنا هو الوقوف عند بعضها مما يسهم إلى حدٍّ كبير في إقناع المشككين بقدرة اللغة العربية على مواكبة المستحدثات العلمية بنفاصليها كافة، كما يسهم الوقوف عندها في تبيان حقيقة اللغة من حيث القوة والمرونة والسعة والسهولة والجمال، ويشهد على ذلك الكثير من العلماء والأدباء عرباً وغرباً؛ فقد ترجم (أنور الجندي) في كتابه (المؤامرة على الفصحى...) ما قاله (أرنست رينان) في كتابه (اللغات السامية): "كانت هذه اللغة بادئ بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سلسة أي سلاسة، غنيَّة أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أيُّ تعديلٍ مهم، فليس لها طفولة، ولا شيخوخة... لم تتغيَّر أيُّ تعيُّرٍ يُذكر... ولا نعم شيئاً عن هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج، وبقيت حافظةً لكيانها، خالصة من كلِّ شائبة"<sup>(3)</sup>، ولا يبتعد علماء العرب والمسلمين كثيراً عما ذكره، فقد أكَّد ابن تيمية حال العرب والمسلمين مع لغتهم، بقوله: "والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتمُّ الألسنة بياناً وتميُّزاً للمعاني، جمعاً وفرقاً، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل، إذا شاء المتكلم الجمع، ثم يميز شيتين مشتبهين بلفظ آخر مميز مختصر، كما تجده من لغتهم في جنس الحيوان، فهم - مثلاً - يُعبرون عن القدر المشترك بين الحيوان بعبارة جامعة، ثم يميزون بين أنواعه في أسماء كل أمر من أموره، من الأصوات، والأولاد، والمسكن، والأطفال، إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي التي لا يُستراب فيها"<sup>(4)</sup>، ومما تميَّز به اللغة العربية انعدام الهوية اللغوية، على غير ما هو في اللغات الأخرى، التي تتغيَّر مع تغيُّر البيئات والأجيال والعصور<sup>(5)</sup>، فكفاية اللغة العربية الذاتية في احتواء العلوم اشتكرت فيها كل فروع اللغة العربية ومستوياتها، وذلك لكونها لم تتغير تغيُّراً أذهب أصولها، ولم تتبدل تبدلاً عامماً شاملاً؛ بل إنَّ "اللغة العربية

ربما كانت اللغة الوحيدة في العالم التي ظلت هي في كلماتها، ونحوها، وتراكيبها، منذ أربعة عشر قرناً على الأقل، وقد أدركنا ما يمكن أن يكون من تأثير لهذه اللغة على العقل العربي، ونظرتة إلى الأشياء<sup>(6)</sup>، وسيقف البحث عند المستويات اللغوية؛ لإبانة كفايتها في احتواء العلوم.

### المستوى الأول: الأصوات اللغوية في العربية

الأصوات اللغوية العربية هي أصلٌ أوّل من أصول اللغة التي تميزت بها العربية، إذ إنّها "استخدمت جهاز النطق عند الإنسان خير استخدام وأعدله، فقد جاءت أصوات هذه اللغة موزعة على مدارج النطق توزيعاً واسعاً شاملاً لكل نقاطه ومواضعه. فمن بداية هذا الجهاز - ونعني بذلك الحنجرة، جاءت الهمزة والهاء، ومن نهايته - وتمثّل في الشفتين - جاءت الباء والميم، ومن بين هاتين المدرجتين خرجت بقية الأصوات العربية مندرجةً في شبه سلسلة متصلة الحلقات، بحيث لا يقع ازدحامٌ في منطقة أو مناطق، ولا يحدث إهمالٌ لبعضها... دون تجاوز لمبدأ التدرج المنتظم الخالي من ظاهرة التجمع عند منطقة، وترك أخرى دون استغلال"<sup>(7)</sup>. وبهذا تتفوق اللغة العربية على اللغات العالمية؛ لكونها تمتلك مدرجاً صوتياً واسعاً، لا تملكه غيرها، كما أنّ الأصوات العربية تتوزع بغير ما تتوزعه الأصوات في اللغات العالمية الأخرى؛ كالإنجليزية والصينية مثلاً، فبعض الأصوات في اللغتين يتركز خروجها من مواضع متقاربة، مع تجاوز تلك الأصوات في الكلمة الواحدة؛ مما يجعل نطقها صعباً وشاقاً إلى حدّ كبير، ومع تلك الصعوبة لا تجد بديلاً سهلاً لها كما يكون في العربية التي تُمكن المتكلم بها أن يختار أصواتاً لا تنقل على اللسان، مع احتوائها المعنى الأكثر دقة في التعبير، وإن كان في نطقها صعوبة ومشقة، فإنه يجد من المرادفات التي تقوم بالوظيفة نفسها دون أن يتغير المدلول أو يتحول عن قصد المتكلم. لذا؛ فإنّ نظام توزيع أصوات العربية خاصةً مميزةً للعربية "بحيث تجيء الأصوات المؤلفة للكلمة منسجمة متناسقة خالية من الثقل، ليس بينها تنافر يؤدي السمع، أو عدم انسجام يفقدها حلاوة النغم، وحسن التلقي والقبول"<sup>(8)</sup>، وهذا لا يمنع من وجود كلمات متنافرة الأصوات أو غريبة وحوشية في العربية؛ لكنها مع ذلك قد تنسجم مع البيئة أو المقام الاجتماعي، فالكلمة التي تتضمن حروفاً متنافرة أو ثقيلة في النطق أو السمع يكون لها واحدٌ من مآلين: إما الاندثار كما اندثرت معظم الكلمات متنافرة الحروف والحوشية الغربية التي درجت على لسان العربي منذ القدم، كما في كلمة (الهفّخ)، وكلمة (مُسْتَشْرَرات)، وكلمة (الجِرسِي) المكروهة في السمع<sup>(9)</sup>، أو أن تُستغل بعض الكلمات الثقيلة في التعبير الشفوي؛ لتُناسب المعنى المراد، وتكون بالنقل الذي تحمله أبلغ في مكانها من غيرها، كما هو الحال في كلمة (كَبْكَبُوا)، وكلمات قرآنية، منها: (أَنْزَلْنَاهَا)، وكلمة (أَنَاقَلْتُمْ) من قوله تعالى: ((إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفِرْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ)) (التوبة: 38)، وإذا اتجه الحديث عن سمة صوتية أخرى في بعض الأصوات العربية بكيفية لا توجد في اللغات الأخرى، فإنّ هناك أصواتاً "تقلُّ ويندُرُ وجودها في كثيرٍ من اللغات المعروفة لنا في الشرق والغرب - على السواء - من ذلك، مثلاً: الهمزة المعروفة لنا في التراث بهمزة القطع، كما في الصوت الأول من (أحمد)، و(أعرف)، و(أعلام) - مثلاً - فهذه الهمزة ليس لها وجود في كثيرٍ من اللغات الأوربية وغيرها، وهي إن وجدت في بعض صور الكلام وأسايبه - كما في لهجة (لندن) فمثلاً لا تعدل أو

تتساوى مع الصوت العربي في كل وجوهه وخصائصه"<sup>(10)</sup>، وليس الشأن مقصوراً على الهمزة ف"هناك في العربية صوت القاف الذي ينذر أن تجد له نظيراً فيما نعرف من لغات، باستثناء الساميات التي تعدّ العربية واحدةً منها"<sup>(11)</sup>، والقاف وفق الدراسات الصوتية الحديثة صوتٌ لهوي انفجاري مهموس<sup>(12)</sup>.  
 أمّا صوت (العين) ف"لا وجود له في اللغات الأوربية، وإذا حاول واحدٌ من أصحاب اللغات استخدامه انتقل إلى استخدام الهمزة بدلاً منه"<sup>(13)</sup>. كما "يتعدّر على غير أبناء اللغات السامية (العروبية) التلفظ بصوت (العين)؛ إلا بكثيرٍ من التشويه بمن فيهم أبناء اللغة الفارسية، على الرغم من وجود صوت خاص في لغتهم لصوت (العين)، وهكذا يبدو أنّه كان أولى بالعربي أن ينسب لغته لصوت (العين) من أن ينسبها لصوت (الضاد)"<sup>(14)</sup>، و"يأتي صوت (الضاد) على قمة السمات الصوتية التي تنفرد به اللغة العربية، وذلك أنّ هذا الصوت بوصفه وحدة صوتية ذات قيمة ووظيفة في تركيب الكلمة ودلالاتها، ليس له وجودٌ - على الإطلاق - في أية لغةٍ معروفةٍ لنا على وجه الأرض"<sup>(15)</sup>، ومما تتميز به اللغة العربية أنّ كلماتها لا تقبل تجاور ثلاثة صوامت، فإذا اجتمعت ثلاثة وسط الكلام وجب تحريك أحدهما؛ ليرتدّ النسيج النطقي في الأصل المقبول، وهو ما يسميه النحاة: (التحريك للتخلص من التقاء الساكنين)، أي التحرك للتخلص من تجاور ثلاثة صوامت. على حين أنّ الإنجليزية - مثلاً - تقبل البدء بحركة، مثل: (important)، بمعنى مهم<sup>(16)</sup>، ومما تتميز به اللغة العربية - أيضاً - أنها تُيسّر نطق بداية الكلمة، فلا تبدأ بساكن، ولا بمشدد، وتتخلص من الساكن بهمزة وصل، كما في أمر (كتب)، وهو: (اكتب)، وذلك خلافاً للغة الإنجليزية التي تبدأ بساكن، مثل: (street)، بمعنى شارع، ففيها (st)، تعقبها الراء المتحركة بحركة: (ee)<sup>(17)</sup>.

والشأن ليس مقصوراً على أصواتٍ بعينها تتميز بها العربية، إنما هناك سهولة في ترميز الأصوات بالكتابة، فكلُّ صوتٍ منطوق مكتوب سوى بعض الأصوات محدودة الأشكال تنطق ولا تُكتب، حصرها اللغويون في كلمات قليلة، منها: الألف في (الله، لكن، هذا، هذه، أولئك، هؤلاء... إلخ)، وعكس ذلك توجد كلمات قليلة العدد تحتوي أصواتاً غير منطوقة، منها: (عمرو، ألف مائة، ألف تنوين الفتح الزائدة، الألف بعد واو الجماعة، همزة الوصل... إلخ)؛ ولكنّ اللغة الإنجليزية - مثلاً - "أبعد من أن تعبر عن الصوت بالكتابة بصورة تعطي القارئ فكرةً دقيقةً عن طبيعة الأصوات أو ترتيبها، فنجد - مثلاً - أنّ بعض الوحدات الصوتية في هذه اللغة مثل صوت (الشين) يُعبر عنه خطياً بأربع عشرة وحدة خطية، هي:

( - notion - Iuscion - tension - mission - ship - mackine - cache - Fiecher

issue - oean - nausca - fuchsin - Isurp - vicians- وهو ما يُشكل صعوبةً ضخمةً للمبتدئين

في دراسة اللغة الإنجليزية<sup>(18)</sup>، فإن كانت هذه بعض ميزات اللغة العربية الصوتية، فكيف لو تتبع البحث غيرها؛ الشيء الذي يسهم في إضافة مصطلحات لا تحتويها ألسنة غير عربية؛ لأنها لا تنطق بتلك الأصوات - كما تبين سابقاً - والسؤال هنا، ألا تثري الأصوات اللغوية التي تفردت بها العربية في القاموس اللغوي والمعجم العلمي؟ فالإجابة - حتماً - تثري فيه؛ بل وفي تشعبه، وتجعله في ذلك أكثر سعة من غيره، وهكذا تنتاب ميزات المستوى الصوتي في اللغة العربية، هذا كله من جهة. ومن جهة أخرى نجد اللغة العربية الفصحى تميّزت من ناحية المستوى الصوتي بجودة نطق الأصوات من ناحيتين، هما: مخرج

كل صوت، وصفاته الخاصة به، فقد اهتمَّ العلماء العرب والمسلمين اهتمامًا بالغًا منذ القديم بذلك، في علم سموه (علم التلاوة والتجويد)، وهو فرعٌ من علم القراءات القرآنية؛ حيث أسهم في التمييز بين الأصوات مخرجًا وصفاتٍ، وتحرَّى علماء القراءات أن يجودوا الأصوات اللغوية من خلال وجوب قراءة القرآن الكريم بمراعاة أحكامٍ محسنةٍ خاصةٍ مشفاهةً، وما زال هذا العلم قائمًا إلى اليوم، يحفظ أصوات العربية نطقًا كما كانت منذ عشرات القرون؛ لذا فبقاء نطق الأصوات اللغوية العربية على حالها دليل بقاء أصلٍ من أصولها، خلافًا لما عليه اللغات العالمية الأخرى.

### المستوى الثاني: الدلالة

هل – يا ترى – تميزت العربية في دلالات كلماتها وتراكيبها من غيرها من اللغات أم لا؟ للعربية في الدلالة ميزات كثيرة تفوقت بها على اللغات الأخرى، أكسبتها القدرة على احتواء المصطلحات والمفاهيم والموضوعات في العلوم المختلفة، ولولا تلك القدرة لرقدت العربية في ثبات منقطع النظير منذ أمدٍ بعيد، ويمكن تلخيص أبرز ما تميز به المستوى الدلالي في العربية في النقاط الآتية:

أولاً: اللغة العربية مرنة في دلالاتها مرونة عظيمة، فتعدد كلماتها وكثرتها هيأً تعددًا وكثرة في بناء التراكيب، والأساليب، كما جعل معانيها فياضة، ودلالاتها متشعبة، ودقيقة التعبير عن المراد، ومنحتها القدرة على ابتناء آلاف النصوص اللغوية الأدبية والعلمية التي احتوت معاني دالة متعددة بتعدد حاجات الإنسان ومتطلباته وأغراضه، مما لا حصر لها، وذلك في العلوم المختلفة.

ثانيًا: صلاحية اللغة العربية لكل مجتمعٍ وعصرٍ مؤكدة، فقدرتها الفائقة على التعايش مع متطلبات كل عصر، ومراعاتها لحاجات كل فرد وجماعة، بما يلحق ذلك من مستجدات العلم وأنماط الحياة، أكد قابليتها للاستمرار والديمومة، ومناسبتها وصلاحيتها لحمل العلوم المختلفة دون عسرٍ أو تكلّف. ولو جيء بالمصطلحات العلمية التي جادت بها اللغة العربية على مرّ العصور لَمَا تيسّر حصرها؛ لكثرتها، فقد بلغت آلاف المصطلحات، في علم الدين، وعلم السياسة، وعلم الفلك، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الطب، وعلم الهندسة، وعلم الحاسب، وعلم الحاسوب، وعلومٍ أحر.

ثالثًا: استوعبت اللغة العربية مفاهيم مصطلحات العلوم بأساليب متعددة تتراوح بين الإيجاز والإطناب، وذلك تلبية لحاجة المتلقي ومستواه. فقدرة اللغة العربية على احتواء العلوم الكثيرة المختلفة في سردٍ ثري موضوعي، أو منظوماتٍ موزونةٍ دون عناء، جعلها تقبّع في العقول محفوظةً بسهولة، وهذا مكنّ اللغة في نفوس الدارسين فظنوا المصطلحات والمفاهيم في منظوماتٍ موزونة، سهّل استيعابها وحفظها وتمكّنها في عقولهم، مع العلم أنّ للعلماء والأدباء منظوماتٍ متعددة، شملت معظم العلوم، منها ما استغرق آلاف الأبيات الموزونة، وأخرى اختصرت في أبياتٍ قليلة، وحاول البحث أن يقدم لمحةً عن ذلك؛ خلوصًا إلى التدليل على سعة اللغة العربية، وقدرتها في استيعاب كمّ هائلٍ من العلوم بمصطلحاتها، ومفاهيمها، وتحديثاتها، وساعد ذلك مرونة كلماتها وتراكيبها وأساليبها، سواءً تلك التي استنتبها العرب أنفسهم، أم التي جاءتهم من سواهم عن طريق الترجمة والاحتكاك. فإنّ بعض تلك المنظومات ربت أعداد أبياتها على الآلاف، وبعضها شُرحت، فترددت بين الإطناب والإيجاز.

رابعاً: يُسرُّ التعبير عن الحاجات الإنسانية كافة بكلمات اللغة العربية وسهولتها، واستدعاء المعنى المراد والدقيق دون تُعدُّرٍ أو عسرٍ أو تلكؤٍ، فذلك اليسرُ جعلها مرنة ينبع منها التحول الدلالي في أشكالٍ تعبيرية مختلفة أشكال يمكن أن تبيِّن بما يلي:

**الشكل الأول:** اختلاف معنى التركيب باختلاف مبناه، مثال: **جامعة فلسطين - فلسطين جامعة**، يُلاحظ اختلاف معنى التركيب الأول عن الثاني؛ بسبب اختلاف ترتيب مبناه، وهذا معناه اختلاف المعنى باختلاف **(النظم)** التقديم والتأخير، وذلك مثال آخر: **طالب العلم في الجامعة - في الجامعة طالب العلم**.

**الشكل الثاني:** اختلاف المعنى باختلاف مقصدية المتكلم، مثال: **فلان جميل**، في مقام المدح له معنى، وفي مقام الذم له معنى تعريضي مختلف عن الأول، وهو القبح الذي استدعته مقصدية المتكلم.

**الشكل الثالث:** اختلاف المعنى باختلاف المقام الاجتماعي، وفيه نمطان:

**النمط الأول:** اختلاف المعنى باختلاف المقام الذي استدعى الحذف، مثال: **يا محمد، كن لطيفاً - محمد، كن لطيفاً**. فالشحنات العاطفية التي حملها التركيب الأول بسبب وجود أداة النداء، غابت عن التركيب الثاني التي حذفت منه، وذلك ما اقتضاه المقامان.

**النمط الثاني:** اختلاف المعنى باختلاف المقام الذي استدعى الزيادة، مثال: **محمد رسول الله - إنَّ محمدًا رسول الله - والله إنَّ محمدًا لرسول الله**. فالمعنى في التركيب الأول: إخبار، واستعلام لمستخبر مستعلم، وفي الثاني: إخبار، وتأكيد لشاكٍ، وفي الثالث: إخبار، وتأكيد، وتحقيق لمنكر جاحد مكذَّب، وذلك ما اقتضته المقامات الثلاثة.

**الشكل الرابع:** اختلاف المعنى باختلاف المشتق الصرفي، مثال: **هذا الرجل حاكم - هذا الرجل محكوم**، فرغ أن كلمتي **(حاكم ومحكوم)** مشتقتين من أصلٍ واحد إلا أنهما مختلفتان في المعنى.

**الشكل الخامس:** اختلاف المعنى باختلاف الإعراب النحوي، مثال: **قتل الشرطيَّ اللصَّ - قتل الشرطيَّ اللصَّ**. فالكلمات هي هي، لم تتغير، وترتيبها لم يتغير، وإنما تغيَّرَ إعرابها، وضبط الحروف الأخيرة منها فاختلَفَ المعنى.

**الشكل السادس:** اختلاف المعنى باختلاف البيئة، مثال **(في البيئة العراقية): هذا رجل مبسوط - هذا رجل مبسوط (في البيئة الفلسطينية)**. فكلمة مبسوط في الجملتين واحدة بحروفها، وترتيبها في التركيب؛ لكنها مختلفة المعنى، ففي البيئة العراقية بمعنى مضروب، بينما في البيئة الفلسطينية تحمل أكثر من معنى، منها: غني، أو سعيد.

**الشكل السابع:** اختلاف المعنى باختلاف نغم الأصوات، مثال: **هذا رجل (نغم إخباري) - هذا رجل (نغم ساخر) - هذا رجل (نغم استفهام)**، وفي كلِّ نغم معنى مختلف.

**الشكل الثامن:** اختلاف المعنى باختلاف الكلمة المجاورة أو باختلاف ترتيبها، مثال: **حرية الرأي - حرية القلم - حرية الأسير أو الرأي الحر - القلم الحر - الأسير الحر**.

**خامساً:** اشتمال اللغة العربية على ظواهر لغوية ذات معانٍ توليدية.



إنَّ الظواهر اللغوية التي استعان بها اللغويون؛ للتأكيد على مرونة اللغة العربية وقدرتها في التعبير عن العقل والنفس الإنسانيين، فسهمت مهمة إيجاد المقابل العربي للمصطلحات، وتقديم مفاهيم وشروح وتعليقات كثيرة، كما أنَّ المباني قد تختلف وتتقارب معانيها، كما توجد معاني لمباني مستحدثة، وفي ذلك ظواهر لغوية أخرى، من أبرزها ما ذكره صاحب كتاب (قاموس حَيَّي الطَّيْبِي)، مثل: "التعريب، والنحت، والتركيب المزجي، والاشتقاق من أسماء الأعيان، وصيغ أسماء الآلة، وقياسية المصادر الصناعية، وجواز جمع المصدر، وصوغ فُعال وفَعَلَ للدَّاء، وردُّ الكلمات الأعمجية المقتبسة من العربية إلى أصولها، وكتابة عددٍ من المصطلحات الأجنبية الخفيفة على السمع بحروف عربية، واعتمادنا الاشتقاق من الجذور العربية التي تواتي المعنى المقصود، وأثرنا - في كل حال - الفصح المعجمي أو المرجح من الألفاظ والمصطلحات العربية على غيرها"<sup>(19)</sup>.

إنَّ التطور الدلالي في العربية أسهم في احتواء العلوم بمصطلحاتها ومفاهيمها دونما عسرٍ أو جمود، ويمكن عرض جملة من تلك الظواهر التي خدمت مساندة اللغة للعلوم، منها: **الظاهرة الأولى:** تجديد الدلالة، **والظاهرة الثانية:** تحديد الدلالة، **والظاهرة الثالثة:** تعميم الدلالة، **والظاهرة الرابعة:** الاشتراك اللفظي، **والظاهرة الخامسة:** بلى الألفاظ، **والظاهرة السادسة:** النحت، **والظاهرة السابعة:** الابتذال، **والظاهرة الثامنة:** القلب المكاني. كما يمكن أن يُستدل عن الشيء بغيره، فإنَّ المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي يدل - بلا شك - على تشعب معاني اللغة العربية ومرونتها، وقدرتها الفاتحة في احتضان مصطلحات عدة من خلال ظواهر متعددة، منها ظاهرة الترادف في العربية؛ تلك الظاهرة التي تمنح القارئ فرصة الاقتراب من المعنى المراد فيما لو جهل معنى المصطلح الدقيق أو اختلط عليه أو كان غريباً، وهذا شأنٌ مقبول نسبياً - وإن كان يعطي تلك الميزة اللغوية للعربية - ولكنه في الوقت ذاته يتسبب بفضى علمية، شكلها الأخطر أن تتعدد المصطلحات والمفهوم واحد، أو أن يكون مصطلح واحد له مفاهيم متباينة، مما يسبب اختلاطاً في فهمها واستيعابها. فالمصطلح العلمي الأعمجي المحدد الواحد لا بُدَّ أن يقابله مصطلح عربي محدد واحد، وذلك لأسباب، منها:

- 1- عدم إحداث فوضى في فهم معنى المصطلح. فالموضوعية العلمية تحتم على الدارسين أن يلزموا مصطلحات محددة؛ لنلا ينشأ التباس في مفاهيم المصطلحات المتعددة لمفهوم واحد.
- 2- انتشار مصطلح علمي واحد أدعى للدقة العلمية، وأفضل لقبوله، وحفظه، وتردده عالمياً.
- 3- إن مفهوم المصطلح ينشأ عن وجود محدّد لمبنى المصطلح ومعناه، ووجود عدة مباني مترادفة لمعنى واحد يُخرج المعنى من المحدودية وعن الموضوعية. ومن قلب التجربة يتحدث مؤلفا (قاموس حَيَّي الطَّيْبِي) عن ذلك، فيقولان: "أحياناً كثيرة نورد عدة مرادفات للمصطلح الإنكليزي الواحد، وهذا عائد إلى تشعب المعاني وتباينها من جهة، ولإعطاء البحث مجالاً رحباً لانتقاء اللفظ المرادف الذي يريده للمعنى المقصود"<sup>(20)</sup>، ويرى البحث على ما في ذلك من مزية إلا أنَّ ترادف المعاني، وتعدد المفاهيم لمصطلح واحد، قد يشوِّش الفهم، ويُستتبه؛ لذا ينبغي أن يتحدد المصطلح، وأن يكون له مفهوم واحد، فهذا أدعى للدقة، وأجدر للفهم وعدم التشتت. ويعدُّ المعنى المعجمي واحداً من الدلالات المهمة التي لا يمكن تجاوزه عند

الوقوف على معاني التراكيب في النصوص اللغوية، واللغة العربية لها حظٌ وافرٌ من الاشتغال في هذا النوع من المعاني، حيث يتكون المعنى المعجمي – كما يرى علماء المعاجم – من ثلاثة عناصر رئيسية، هي:

- 1- ما تشير إليه الكلمة في العالم الخارجي.
- 2- ما تتضمنه الكلمة من دلالات، أو ما تستدعيه في الذهن من معان.
- 3- درجة التطابق بين العنصر الأول والثاني<sup>(21)</sup>، ومن هنا يمكن تقسيم المعنى المعجمي في العربية إلى مجموعتين من الكلمات، هما:

**المجموعة الأولى:** وجود علاقة طبيعية بين الدال والمدلول، أو الاسم والمسمى، مثل: الحفيف، والخزير، والصهيل، والخضم، والقضم... وهي مجموعة قليلة في اللغة.

**المجموعة الثانية:** وجود علاقة رمزية اصطلاحية عشوائية بين الدال والمدلول، وهذا النوع هو ما يهتم به عالم المعاجم أكثر من غيره؛ لأنه الجزء الأكبر والأهم من متن اللغة، والمتداول على ألسنة المتكلمين<sup>(22)</sup>، ويُمثل المعنى المعجمي مجموعة الكلمات القابلة للزيادة، مثل: مفردات اللغة التي تنمو وتتطور، ولذلك هي غير محدودة، وقابلة للزيادة والنقصان<sup>(23)</sup>، وهناك جهودٌ عظيمة بذلها بعض المهتمين بعربيتهم، منها كتبٌ ومعاجمٌ وموسوعات في علوم مختلفة وعديدة لم يتأخروا عن جمع مادة لغوية حاوية للمصطلحات والمفاهيم العلمية بدافعيتهم الذاتية عن الاشتغال بها، وبقليل من الدعم والكفاية برزت وظهرت للنور كتبٌ ومؤلفاتٌ أخرى في القرنين الأخيرين، التاسع عشر والعشرين، ومع ذلك فهي غير كافية؛ للنهوض إلى ما وصل إليه هذا العلم عند الأجنبي في الدول المتطورة، فلو ضرب - مثلٌ - في هذا الجهد الذاتي الرائع، لكان قاموس جُتِي الطبي الجديد واحدًا من الدلائل على قدرة العربية في احتواء علم الطب<sup>(24)</sup>، يقول المؤلفان في مقدمة القاموس: "قد ارتأينا ضرورة إعادة النظر جذريًا؛ لتحديث مادة المعجم أمام التطور الذي لا يكاد ينتهي يوميًا في مختلف المجالات والاختصاصات الطبية، واستعنا في ذلك بالطبعات الأحدث للمعاجم الطبية العالمية... كذلك استرشدنا بالإنجازات المستجدة لمجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد وعمّان ومكتب تنسيق التعريب في الرباط بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ولاتحاد الأطباء العرب"<sup>(25)</sup>، ولم يكن المعجم مجرد مذكّر بالمقابل العربي؛ بل راعي دقة اللغة، وشكل الحروف وضبطها، يقول المؤلفان: "واقترضنا ذلك إعادة صنفّ المادة المعجمية وتوزيعها بنسق جديد؛ حرصنا على أن يأتي بيّنًا دقيق المرادفات، مضبوطًا بالشكل. أما أسلوبنا في وضع المرادفات العربية فقد أوفيناها شرحًا... واستندنا في تعريب هذه المصطلحات أو ترجمتها إلى مراجع كثيرة مختلفة، منها: الكتب الطبية القديمة التي وضعها العلماء والحكماء العرب والمستعربون، ومنها: مؤلفات أساتذة الطب في القصر العيني بمصر، وأساتذة الكلية السورية الإنجيلية المعروفة اليوم باسم (الجامعة الأمريكية في بيروت)، التي كانت تُدرّس علوم الطب والصيدلة باللغة العربية منذ إنشاء مدرسة الطب فيها سنة (1867م) حتى سنة (1882م). ومن هذه المراجع - أيضًا - منشورات المجمع العلمي العربي في دمشق، ومجمع اللغة العربية في القاهرة، والمجمع العلمي العراقي، وقد رجعنا إلى مؤلفات أخرى وضعها علماء عربٌ أفرادًا، منها:

**معجم العلوم الطبية والطبيعية)**، للدكتور (محمد شرف)، و**(معجم الألفاظ الزراعية)**، للأمير (مصطفى الشهابي)، و**(معجم أسماء النبات)**، للدكتور (أحمد عيسى)، و**(معجم المصطلحات الطبية)** (الكثير اللغات، الذي عرّبه الأساتذة (مرشد خاطر، وصلاح الدين الكواكبي)، و(حمدي الخياط)<sup>(26)</sup>). ومنها كتاب **(المختصر في المصطلحات الطبية)**، للدكتور (عارف أبو حويج)، والدكتور (يوسف حشاش)، و(سوسن سمور)، يقع الكتاب في (212 صفحة)، وقد تضمن الكتاب آلاف المصطلحات العلمية الطبية العربية مع مقابلها الإنجليزي، وتوزعت تلك المصطلحات على أعضاء أجهزة الجسم، ووظائفها، ومشكلاتها<sup>(27)</sup>، وكتاب **(دليل المصطلحات الطبية)**، للدكتور (عماد الخطيب)، والدكتور (هشام الخطيب)، والدكتور (عصام الصفدي)، ويقع في (403 صفحة)، تضمنت آلاف المصطلحات العلمية العربية مع مقابلها الإنجليزي، وتوزعت تلك المصطلحات في سبعة عشر وحدة، اشتملت كل وحدة على ذكر الأعراض، والعلامات، والاستقصاءات، والأمراض لكل جهاز، مع تسمية أعضاء الجسم وأجزائه الدقيقة وأنسجته، ووظائف كل جزء وعضو، وتشخيص مشكلاته، وأتبع الكتاب بملحق عن الشرايين والعضلات والاختصاصات<sup>(28)</sup>، وهو شاهدٌ من أهل التجربة يؤكد قدرة اللغة العربية على احتواء العلوم الإنسانية؛ بل إنَّ مؤلفي كتاب **(دليل المصطلحات الطبية)** يردون في مقدمة كتابهم على المدّعين ذلك، بقولهم: "يُدّعي الكثير ممن تلقوا تعليمهم باللغات الأجنبية في أوروبا وأمريكا عدم كفاية اللغة العربية، وعدم قدرتها على تدريس الطب، زاعمين أنها مقيدة بالمصطلحات العلمية الحديثة، متخلفة عن ركب الحضارة المتسارع الخطأ، ومنتزعين بنقص المراجع والمجلات المتخصصة بالعربية، وقد أكد أصحاب الكتاب السابق أن ذلك الادعاء يعود لأسباب، منها: جهل المدّعين بترائهم الطبي، ومدى غناه، ونصحوا للمدّعين بقولهم: "قلوا كلفوا أنفسهم مشقة الاطلاع على ما احتوت عليه بعض كتب (الرازي)، و(ابن سينا)، و(ابن النفيس)، وغيرهم في مختلف فروع الطب؛ لوجدوا أن تلك الكتب تزخر بالمصطلحات الطبية التي تصلح للنحت، والاشتقاق، والانتقاس، وتسائر تطور العلوم الطبية على مرّ العصور، وثبتت جدارة اللغة العربية، وقدرتها على ملائمة هذا العصر بعلومه المختلفة"<sup>(29)</sup>.

### المستوى الثالث: الصرف

إنَّ للكلمة اللغوية العربية أربع متغيرات صرفية، هي: جنس الحروف، وشكلها، وترتيبها، وعددها، وتغيّر الكلمة بواحدٍ منها يؤثر في معناها تلقائياً، فمثلاً: كلمة (كُل)، لو تغير جنس حرفٍ من الحرفين، أو تغيّر معناها؛ لتغيّر معنى الكلمة، فلو تغيّر حرف الكاف فصار قافاً (قُل)، فمعنى الكلمة يتغيّر تلقائياً، ولو تغيّر اللام، فصارت: (كُف)؛ لتغيّر المعنى، ولو تغيّر الحرفان فصارا: (قُم)؛ لتغيّر معناها. ويجد الدارس معنى مختلفاً لكل تغيّر. وكذا لو تغيّر شكل أي حرفٍ من الحرفين، فلو استبدلت الضمة بفتحة على الكاف، فصارت (كَل)؛ لتغيّر المعنى. وكذا لو تغيّر ترتيب الحرفين كما لو صارت (لك)، سبتغيّر المعنى، وأخيراً لو تغير عدد حروف الكلمة بالزيادة أو النقصان سبتغيّر المعنى، كما لو زيد حرف الميم، فصارت: (كلم)، أو نُقص حرف، فصارت (ك)، سبتغيّر المعنى. ولهذا التشكيل المتعدد للكلمة الواحدة فوائد، منها:

1- استنبات كِم هائلٍ من المشتقات عن كل كلمة أصيلة، مثال: (كتب - أكتب - يكتب - نكتب - تكتب - كتابة - كُتِبَ - كُتِّبَ - استكتاب - مستكتب - مكتبة - مكتبات - مَكَّتَاب - مَكَاتِب - مكاتبات - اكتتاب - اكتتابات - مكتب - مكتوب - كاتب - منكتاب)، وإنَّ الأفعال المتصرفة لها ما لهذا الفعل من عدد المشتقات.

2- حاجات الإنسان ومتطلباته تحتاج إلى معانٍ كثيرة تفي بغرض التعبير عنها، وساعدت في ذلك كثرة الاشتاقات، حيث أسهمت في منح المخاطب اختيار المشتقة المناسبة؛ للتعبير عن المعنى المراد. فاستخدام كلمة (مكتوب) يختلف عن استخدام كلمة (كاتب)، رغم أنهما من أصلٍ واحد (كتب)، وتختلف عنهما في المعاني مشتقات الكلمات (كُتِّبَ)، و(مكتبة)، و(استكتاب)، و(مكاتبة)، و(تكتاب)، وغيرها، فكلُّ كلمة لها وظيفتها التي تختلف بها وظائف شقيقاتها وهذا معناه أنَّ كلَّ مشتقة لها معناها الخاص بها.

3- استحداث مشتقات جديدة لم يكن لها وجود وذلك من خلال عملية الاشتقاق الكلمة الأصلية. فكلمة (مكتبة) لم تكن في الجاهلية، فاشتقت فيما بعد من كلمة (كتب)؛ لتدل على مجموعة من الكتب المجتمعة في مكان واحد، وهكذا الكلمات: (ثلاجة - حاسوب - ناسوخ - صاروخ... إلخ).

4- تعدد أشكال التقديم والتأخير، فكل كلمة من المشتقات تصلح أن تكون في بداية الجملة أو وسطها أو آخرها، وبهذا يكون قدرُ تشكل التراكيب اللغوية بفضل هذا الاشتقاق كبيراً جداً، وبتلك المزية يتلون الأسلوب، وتعدد التعبيرات، وتتمكن اللغة من التعبير بالمعاني والمفاهيم عن الحاجات الإنسانية على اختلافاتها.

5- تيسير نطق الأصوات اللغوية، وذلك بفضل بعض ظواهر اللغة العربية، منها: ظاهرة الإدغام، وظاهرة الترادف، وظاهرة النحت، وظاهرة (بلى الألفاظ)، التي تفقد فيها الكلمة بعض حروفها؛ قصداً للتسهيل اللفظي، مثال: سوف المستقبلية التي صارت سيناً. وهكذا لا يجد المدقق فيما سبق حاجباً أو مانعاً أو عائناً يحول بين اللغة العربية واحتواء أي مصطلح أو مفهوم من مصطلحات العلوم ومفاهيمها لاسيما بعد معرفة أنَّ اللغة العربية تحتوي على آلاف مؤلفة من الأفعال؛ فغداً من السهل جداً الوصول إلى بناء المصطلحات، وإيجاد المفاهيم، ونسج التراكيب والنصوص؛ لكثرة الذخائر والظواهر اللغوية التي يمكن من خلالها احتواء المعاني واستيعابها.

#### المستوى الرابع: التركيبي (النحوي)

المستوى النَّحْوِيُّ من أهم المستويات اللغوية التي توظف على الألسن؛ لكونه يتركب من كلمات عدة؛ للتعبير الدقيق بالمعاني عن الحاجات المختلفة. والمعنى النحوي: هو "محصلة العلاقات القائمة بين الكلمات في الجملة، وهو ما تدل عليه الكلمة باعتبارها رمزاً للأشياء والأحداث والأفكار كما يتمثلها المتحدث باللغة - فمثلاً - كلمات: (كرة - ولد - ضرب)، لها معنى معجمي؛ ولكن ليس لها معنى نحوي؛ حتى توضع في تركيبٍ بطريقةٍ معينة"<sup>(30)</sup>، وقد قسّم اللغوي الأمريكي (Fries فريز)، المعنى النَّحْوِي إلى ثلاثة أقسام: دلالة الأدوات، مثل: حروف والعطف... إلخ، ودلالة الوظائف النحوية، مثل: الفاعلية والمفعولية، ودلالة الجملة، مثل: الدلالة في جملة الشرط، والقسم، والحال، وغيرها.

ويتميّز المستوى النحوي في العربية بمجموعة من الميزات، منها:

**أولاً:** المستوى النحوي يسهم في تشكيل أنواع كثيرة من الأساليب والتراكيب اللغوية، وذلك بحكم المرونة العالية التي عليها القواعد النحوية المتعددة.

**ثانياً:** المستوى النحوي يمنح المتلقي فرصة تشكيل المعاني والدلالات اللغوية، وذلك بكثرة الظواهر التي يمتلكها، كالتقديم والتأخير، والحذف، والإضمار، وغيرها من الظواهر.

**ثالثاً:** تتحدد معاني الجملة من المستوى النحوي من خلال تغير العلامة الإعرابية أو البنائية للكلمة، وإن استقرت مكانها فذلك يؤدي إلى اختلاف معناها، مثال المعرب: ضَرَبَ الْوَلَدُ خَصْمَهُ، وضَرَبَ الْوَلَدُ خَصْمَهُ، ومثال المبني: ضَرَبَ الرجلُ الولدَ ضرباً مبرحاً، وضَرِبَ الرجلُ الولدَ مبرحاً، فكلُّ تركيب معناه الدقيق الخاص.

**رابعاً:** تتميز به الأحكام من معرب ومبني، وتقديم وتأخير، وابتداء وإخبار، وفاعلية ومفعولية، وبالتالي يسهم ذلك كله في تنوع التراكيب اللغوية، كما يسهم في تعدد المعاني، لكون الجملة الاسمية تختلف في دلالتها عن الفعلية، وتقديم الاسم يختلف عن تقديم الفعل، والعكس، كما يختلف تقديم الخبر على المبتدأ أو الاسم، وهكذا.

**خامساً:** يفه المستوى النحوي من تراكيب النصوص اللغوية الفصحى والبليغة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر بأنماطه، والنثر بأنواعه. فتلك النصوص لا تبين معانيها - غالباً - إلا بعلم النحو، ودليل ذلك أنَّ التراكيب الخالية من علامات الإعراب تحدث التباس الفهم، واختلاط المعاني، وقد يتعذر في كثيرٍ منها الوقوف عند دلالاتها المرادة والدقيقة، وهذا عكس الفصاحة التي هي بمعنى الظهور والوضوح والإبانة.

**سادساً:** يُمكنُ التحرز من الوقوع في الأخطاء اللغوية المختلفة، وبمعرفة يستقيم اللسان والقلم معاً، وبه يتم وضع الكلمة في مكانها المناسب؛ مراعاةً للمعنى المراد.

**سابعاً:** المستوى النحوي يسهم في تحديد مواضع الكلمات داخل الجمل، وبالتالي تحديد وظيفتها الدلالية، وصولاً إلى المعنى النحوي، فالاسم إذا تقدم الفعل كان له معنى يختلف عمّا لو تأخر عنه، وهكذا. إنَّ المستوى النحوي يسهم في وضع المعاني والدلالات الدقيقة التي تنسجم مع المراد انسجاماً تاماً، كما أنَّه يوضح للمتلقي المعنى المراد دون التباس؛ مما يؤدي إلى ضبط المفاهيم الكلامية، وإزالة الالتباسات من المعاني.

### المستوى الخامس: الأسلوب

الأسلوب هو طريقة اختيار الكلمات والتراكيب؛ للتعبير عن المراد، قصد التأثير والإيضاح. وعند الحديث عن أساليب اللغة العربية من المهم اللافت أنها متنوعة، ويصعب مع هذا التنوع حصرها في أشكال لغوية ما، بيد أنها أنضجت أشكال الشعر، وأنماطه، وأنواعه، وبسهولة ويسر، كما أنَّها أنتجت نصوص النثر الموضوعي والذاتي بكفاية واقتدار، فبالأساليب تشكَّلت النصوص اللغوية، فكانت الحكمة والأمثال والروايات والقصص والمقامات والوصية والموعظة والخطبة، ثم تبع هذا مخاضٌ آخر، وهو مراعاة

الكلام واختياره موافقةً للمقامات الاجتماعية، ولم تكن العربية عاجزة عن ترجمة النصوص النثرية ذات الميلاد غير العربي من الروايات الأدبية، والقصص القصيرة، والخواطر، والمقالات، والسير الذاتية والغيرية، وغيرها من النصوص، ولم تكف بالترجمة؛ بل بدأ القلم يخط ما ألفه العرب والمسلمون من تلك النصوص بأساليب راقية، كان لها الحضور بين آداب العالم الحديث، فنجيب محفوظ الأديب المصري نال بأدبه الذي نسجه من تأليفه جائزة (نوبل)، ونال الكثير من الكُتَّاب العرب جوائز تقديرية وتشريفية؛ لعظيم ما ألفوا وكتبوا.

ومن العجب أن ترى العلوم المختلفة لاسيما التطبيقية وغيرها، كالطب والهندسة والفلك بمصطلحاتها ومفاهيمها نظمت في منظومات موزونة على البحور الشعرية، واستطاع العلماء أن يشروحوا تلك العلوم من خلال تلك المنظومات، وإليك بعضاً من عناوين المنظومات التي شاعت وذاعت، وما زالت، منها:

**المنظومات اللغوية في علمي (النحو والصرف)**، منها: ألفية ابن مالك في النحو والصرف، وألفية ابن معط في النحو، ومثلهما كثير، **والمنظومات اللغوية في علم (البلاغة والتعبير)**، منها: منظومة ابن الشجري في البلاغة، ومنظومة عقود الجمان في البلاغة؛ للحافظ السيوطي، وألفية ابن الوردي **(الألفية الوردية)** في التعبير، وألفية القبابي في المعاني والبيان، وغيرها كثير، **والمنظومات اللغوية في علمي (الكتابة والصوت)**، منها: أرجوزة إشارة الألفاظ في علم ما يرسم من الألفاظ، للمدني الحسني، وأرجوزة في الفرق بين الظاء والضاد، **والمنظومات الدينية، في علوم القرآن الكريم**، ومنها: منظومة التيسير في علم التفسير؛ للديريني الشافعي. وهي في **(3300 بيت)**، وألفية غريب القرآن، للعراقي. وهي في **(1043 بيتاً)**، وألفية التفسير، لحسين بن علي الدحلي. وهي في **(1000 بيت)**، ومراقي الأواه إلى تدبير كتاب الله. **(8300 بيت)**، والأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة، لأبي عمرو الداني. وهي في **(1311 بيتاً)**، والشاطبية، للشاطبي. وهي في **(1173 بيتاً)**، وطيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري. وهي في **(1015 بيتاً)**، وضوء القناديل على غريب التنزيل في **(377 بيتاً)**، وألفية غريب القرآن، لابن العالم الجزائري. **(1018 بيتاً)**، والتفسير العجيب في تفسير الغريب، لابن المنير السكندري. وهي في **(2480 بيتاً)**، **والمنظومات الدينية في (الحديث الشريف وعلومه)**، منها: ألفية الحديث؛ للحافظ العراقي، ومنظومة ألفية الحديث؛ للحافظ السيوطي، وأرجوزة في علم الوضع؛ لمحمد بن أحمد البهوتي، ومنظومة الخرزجي في المناسك، ومنظومة تحفة الأطفال في علم التجويد، للجزيري، ونونية القحطاني في علوم الدين، **والمنظومات الدينية في علم (الفقه وأصوله)**، ومنها: منظومة ابن البرماوي في أصول الفقه، وألفية ابن الشحنة في الفرائض، **والمنظومات في علم الفلك**، ومنها: منظومة السوسي في علم الفلك، ومنظومة الشاطري في علم الفلك، **والمنظومات في علم الكلام والفلسفة**، ومنها: المنظومة الكبرى في علم الكلام؛ لسيد أحمد بن زكري التلمساني، **والمنظومات في علم الموسيقى**، ومنها: أرجوزة في الموسيقى **(من الأقتون في مبادئ العلوم)**؛ لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، **والمنظومات (الفنون والترفيه)**، ومنها: ألفية الأربلي في الألغاز الخفية، وألفية الطهراني في الفنون، **والمنظومات في علم الطب**، ومنها:

ألفية ابن سينا، ومغنية المعاني في صناعة الطب، لإبراهيم بن أحمد الدسوقي، وهي في (1000 بيت تقريباً)، والذخيرة في علم الطب، لثابت بن قرة الحرّاني (901هـ).

وبعد أن ذكر البحث بعض النُنف من شذرات ما تتميز به اللغة العربية في الأسلوب يجدرُ به ألا يغفل ميزة تنوعها عند التعبير عن المراد؛ لتلقيه واضحاً دون غموض أو خفاء، وسهلاً دون وعورة أو صعوبة، ألا ترى أنّ العربية من لغات العالم كافة تتميز بأدواتها التي تعبر بها عن الشيء الواحد بأنماط وطرق وأساليب مختلفة، فهي تتفق في الدلالة، وتنوع في الأسلوب والطريقة؛ إثارةً للمتلقي، وتحفيزاً له، وجذباً لعقله، فانظر إلى التعبير عن القصر بأنماط مختلفة، منها: العالم ألف كتاباً – ما ألف الكتاب إلا عالمٌ – إنما ألف الكتاب عالمٌ – إنما عالم هو الذي ألف الكتاب – الكتاب ألفه عالمٌ... والسؤال هنا؛ كيف للغة وهي تحمل تلك الأساليب المنوعة أن تغفو أو تموت أو تعجز عن احتواء العلوم!

### احتواء اللغة العربية للعلوم ما بعد القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الحادي عشر:

إنّ كثيراً من الجهود العلمية تبين أنّ اللغة العربية استطاعت احتواء العلوم المختلفة التي ألفها العرب والمسلمون أنفسهم، واستيعاب العلوم التي دخلت إلى العربية من طريق الترجمة بالشفاهية، أو الترجمة بالكتابة، ولم يكن هذا الاحتواء وليد اللحظة؛ بل كان منذ عمق التاريخ، والسؤال هنا؛ متى بدأ هذا الاحتواء بشكله الموضوعي؟ وهل استمرّ؟ وما أبرز التحديات التي واجهته؟ وما هو حال اللغة العربية اليوم في احتواء العلوم؟ وللإجابة عن تلك التساؤلات لا بدّ من استعراض ذلك مع تجنب الإطالة والاطراد واعتماد الإيجاز سبباً من سبل تلمس الفائدة، وتحقق المراد، مع قيام الدليل، فمما لا يخفى عن أهل المعرفة أنّ حركة الترجمة بدأت نشطةً ناميةً عندما طلّ القرن الثالث الهجري على العرب والمسلمين بمتغيراته السياسية، والفكرية، والعلمية، والأدبية، والجغرافية، وغيرها، ولا يمكن أن يرصد هذا البحث الحركة الدؤوب في ترجمة العلوم المختلفة من اللغات الأعجمية إلى العربية أو العكس؛ لكثرتها، ولكونها احتوت ما لا يحصى من المصطلحات والمفاهيم العلمية، مما يصعب تمييز أصل معظمها أعرابية هي أم أعجمية؟ فضلاً عمّا رصدته حركة الترجمة مما هو معالج مطبوع، أو مخطوط. كما ليس من هدف البحث هنا حصر تلك الجهود؛ بل إثبات قدرة العربية على احتواء العلوم كافة.

إنّ الحديث عن أشكال احتواء العربية للعلوم المختلفة يقتضي الإشارة إلى أنّ مرونة العربية سمحت بحضور ما لا حصر لها، إذ بلغت براعة العربي في احتواء المصطلحات والمفاهيم العلمية أنّ استوفائها بأشكالها المختلفة بينة، فتارةً قَمَّهَ موجزَةً مختصرةً، وأخرى مسهبةً مطولةً، ومرةً حكاها نثرًا، وثانيةً جعلها موزونةً في منظوماتٍ رجزية، وجاء بها مشروحةً مرة، ومقتضبةً أخرى، وحيناً أدخل إليها الجديد، وزاد عليها مما تدبر وعقل، وألحق بها مما فهم، وأضاف إليها ما ينتمي لها، وهكذا بسطت اللغة العربية العلوم بأنواعها في حضنها.

ليس من العجيب الإفصاح عمّا ثبت عند الدارسين من أنّ ترجمة الأجناس الأدبية القديمة عند الأعاجم على تنوعها تمّ الكثير منها إلى العربية، ولم تكن الترجمة قاصرة على المصطلحات العلمية، ولم تكن بعيدة عن لغة الأدب المرنة الجميلة؛ بل كانت اللغة الأدبية حاضرة بالترجمة من العربية ولها، ليس ذلك فحسب؛ بل

إنَّ القارئ للنص الأدبي الأجنبي المترجم إلى العربية لا يزداد حال قراءته إلا تشوقاً وإثارةً وانجذاباً؛ لكونه تُرجم ترجمة احتفظت بجمال الصياغة ووضوحها، وازدانت بالأساليب اللغوية العربية المتنوعة، ولم يُقصر الخلفاء والأدباء في تتبع المؤلفات غير العربية؛ بل اشتغلوا بها قراءة وتدويناً وترجمة، ولم يكن أحدهم ليكتفي بتتبع الرسالة أو الرسائلتين، أو الكتاب والكتابين؛ بل لهم في ذلك نهمٌ شديد، فقد "شجع (المنصور) الترجمات الأدبية تحت إشراف كاتبه (عبد الله بن المقفع)، الذي نقل كتاب (كليلة ودمنة)، من اللغة الفارسية إلى العربية، وكتاب (خذأ نيامه)، في السير، وكتاب (التاج)، و(الأدب الكبير)، و(الأدب الصغير)، و(ألف ليلة وليلة)"<sup>(31)</sup>.

لم تنحصر الترجمة في كتب الأدب؛ بل تجاوزتها إلى العلوم الإنسانية على تنوعها؛ كيف لا؛ وهي التي احتوت الكلمة والتركيب والأسلوب؛ كما ضمت المفاهيم والمصطلحات القديمة في العلوم المختلفة، كما لم تكن اللغة العربية عند ترجمة نصوصها علمية كانت أم أدبية حجر عثرة في طريق القارئ الأجنبي؛ فقد تلقف الأجنبي العلوم والمعارف العربية التي ترجمت إلى لغات غير عربية بفهم وتدبر، فكتاب (المقدمة) و(العبر)؛ لابن خلدون، وكتاب (السلوك في معرفة الملوك)؛ للمقريزي، وكتاب (مروج الذهب)؛ للمسعودي، و(مختارات شعرية)؛ لابن سينا، والبوصيري، و(المعلقات السبع)؛ للشعراء الجاهليين، و(مقامات الحريري)، و(طوق الحمامة)؛ لابن حزم، وكتب في علوم الدين، والفلسفة، والفلك، والجغرافيا، والتاريخ، والطب، وعلوم أخرى<sup>(32)</sup>، كلها ترجمت إلى لغات أجنبية، وأثرت في معارف غير العرب، كما أسهمت في بناء حضارتهم، ولو لم تكن اللغة العربية واضحة البيان، سهلة المبنى، دقيقة المعنى، رشيقة الأسلوب لما كان لها أثرٌ بالغٌ في حياة الأجنبي، ورفعة حضارته.

إنَّ "العرب بعد إنجازات (الرازي) (864-932م)، و(ابن سينا) (980 – 1037م)، و(ابن رشد) (1126-1198م)، و(الزهرابي) (1030 – 1106م)، وغيرهم من الأطباء الخالدين، الذين أعطوا الإنسانية ما أعطوا، أصبحوا في حيرة بالغة أمام ما وصل إليه أحفادهم، الذين يعيشون مرحلة تاريخية غير مواتية"<sup>(33)</sup>. وبعد أن أَلَّفَ (ابن قنفذ) أرجوزة تعليمية في الطب تتألف من (289 بيتاً) عن الأغذية والأشربة وفوائدها، وكميات إعطائها للمريض<sup>(34)</sup>، أَلَّفَ غيره في علوم متعددة، كالعلوم الإنسانية من لغة ودين وفلسفة وتاريخ وغيرها، كما أنَّ التأليف في الرياضيات والهندسة والعمارة لم يكن قائماً عند العرب قبل الإسلام على دراية أو علم موضوعيين، ولم تكن لهم مؤلفات تُذكر في هذا الشأن، حتى بدا لهم ذلك من الحضارات الأخرى لما دخلوا في الإسلام، ففتحت الترجمة آفاقاً رحبةً لهم، وبدأت بعد ذلك الجهود تتابع وتتزايد حتى صارت لهم قدم سبق وتميُّز عن غيرهم، ومما رصدته كتب التاريخ والمعارف أن ترجم (الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي) كتاب (إقليدس) أو كتاب (الأركان)، وهو أول التراجم في علم الهندسة، ونقله إلى العربية – أيضاً - كلُّ من: (إسحاق بن حنين) (ت298هـ)، ولم تكن المصطلحات عائقاً عندئذٍ، والدليل على ذلك أنهم لم يكتفوا بالمترجم؛ بل أضافوا إليه بعدما قاموا بشرحه وبسط مسأله. ومن أولئك الذين أضافوا إضافاتٍ ثرَّة: (ابن الهيثم)، ومن مهندسي العرب القدماء الذين أثَّروا هذا العلم (أبو كامل شجاع الحاسب المصري) (ت340هـ) في كتابه (المساحة والهندسة)، وله رسالة بعنوان: (في



المضلع ذي الزوايا الخمس، وذِي الزوايا العشر)، كما يوجد لـ(الحسن بن موسى) كتاب (الشكل المدور والمستطيل).

ومن الكتب النفيسة في الهندسة: (استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني منها)، لـ(أبي الوفاء محمد البوزجاني) (ت388هـ)، وله كتاب (ما يحتاج إليه الصنَّاع من أعمال الهندسة)، ولـ (أبي سُهيل الكوهي) (ت390هـ)، و(أبي سعيد السحري) (477هـ)، و(أبي جعفر بن الحسين) (ت400هـ) رسائل هندسية<sup>(35)</sup>، ولقد دخلت الهندسة مرحلة ثالثة فيها ترجم هذا العلم من العربية إلى لغات أجنبية، وذلك بعيد بداية مرحلة الترجمة من اللغات الأعجمية للعربية ومرحلة التأليف، فقد استمدَّ (كوبر نيكوس) (ت950هـ)، و(فراري) (973هـ)، أشكالاً هندسية من (نصير الدين الطوسي) (ت672هـ). وإنَّ كتابيه (تحرير أصول إقليدس)، و(الرسالة الشافية)، أنزَّرا في جهود (جون واليس الإنجليزي) (ت1280هـ)، و(سكارى الإيطالي) (ت1146هـ). ومن الجدير بالذكر أنَّ (أوربا) لم تترجم كتب اليونان إنما اعتمدت على الكتب التي ألفها العرب المسلمون.

أخذ عن (ابن الهيثم، والخيام، والطوسي، وآخرين في علم الهندسة) كلُّ من: (ريمان الألماني) (ت1283هـ)، و(لوبتشفسكي الروسي) (ت1273هـ)، واستمرت جهود علماء العرب والمسلمين في علم الهندسة، ما بين ترجمة وتأليف وتطبيق، واشتغل عددٌ غيرٌ منهم بذلك، حتى ذاع صيت تلك الجهود، وانتشرت وراجت في الأمصار، وقد بلغت بعض تلك الجهود أعداداً لا حصر لها عند البعض، نشير لبعضهم وبعضها، فمؤلفات (الطوسي) في علم الهندسة بلغت أكثر من (145 مؤلفاً) وله في حقول علمية أخرى، منها: علم حساب المتلثات، والهيئة، والجبر، والجغرافيا، والمنطق، والتنجيم، وغير ذلك، وأبرزها: كتاب جوامع الحساب بالتخت والتراب، ومقالة تحتوي على النَّسب، مقالة تحتوي على شكل القطاع السطحي والنسب الواقعة عليها<sup>(36)</sup>، ومقالة القطاع الكروي، ومقالة عن قياس الدوائر العظمى، وكتاب تحرير إقليدس، والرسالة الشافية عن الشك في الخطوط المتوازنة، وكتاب تسطيح الأرض، وتربيع الدوائر، وكتاب قواعد الهندسة، وكتاب مساحة أشكال البسيطة والكروية، وكتاب الجبر والمقابلة<sup>(37)</sup>، وقام (ابن قنْفذ) بشرح أرجوزة (ابن الياسمين) في الجبر والمقابلة، في كتاب أسماه (مبادئ السالكين في شرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة)<sup>(38)</sup>، وهي أرجوزة مهمة في تاريخ علم الرياضيات العربي، إذ تعدُّ وسيلة تعليمية للجبر والمقابلة... وله في الحساب: بغية الفارض من الحساب، حظ النقاب عن وجوه أعمال الحساب. وقد نُشرت باللغة العربية كتبٌ قيِّمةٌ – مؤلفةٌ أو مترجمةٌ – تحمل عنوان – علم اللغة النفسي – أو تحمل عنوانات قريبة منه، نحو: علم النفس اللغوي، واللغة وعلم النفس، واللغة والسلوك، ونحو ذلك.

إنَّ تلك الكتب تختلف في أهميتها عند القارئ العربي، فكثيرٌ منها يتضمن معلوماتٍ وحقائق مهمة في هذا الميدان، كإكتساب اللغة، ولغة الطفل، والحديث عن مسائل عضوية، فسيولوجية وعصبية مرتبطة بفهم اللغة واستعمالاتها واكتسابها<sup>(39)</sup>، واحتوت (68 صفحة) من صفحات كتاب (علم اللغة النفسي) من (399 صفحة – 467 صفحة)، على مصطلحات في علم اللغة النفسي بلغت حوالي (1360 مصطلحاً)،

علماً أنه وردت بعض المصطلحات ذات العلاقة بهذا العلم<sup>(40)</sup>، وسيعرض البحث أبرز الجهود في الترجمة والتأليف لعلوم الطب والهندسة وأخرى- على سبيل المثال - عند العرب والمسلمين خلال القرون الهجرية؛ ليوكد أن اللغة العربية لم تكن قاصرة أو عاجزة عن احتواء العلوم؛ ولكن أهلها هم من قصرُوا في أدائها، والحفاظ عليها، والاستفادة من قدراتها الفائقة. وإليك بعضاً من المؤلفات العربية التراثية في تلك الحقبة التاريخية:

في القرن الأول الهجري أَلَفَ (علي بن الحسين، أبو الحسن زين العابدين)، (ت94)، كتاباً في حقوق الإنسان بعنوان: (رسالة في الحقوق)، وفي القرن الثاني الهجري أَلَفَ (القرشي، يحيى بن آدم بن سليمان)، (ت203)، كتاب (الخراج)، وأَلَفَ (الهرثمي، أبو سعيد الشعرائي، صاحب المأمون)، (ت الربع الأخير من ق2)، كتاب (مختصر سياسة الحروب)، وفي القرن الثالث الهجري أَلَفَ (عبد الملك بن حبيب السُلَمي، أبو مروان)، (ت238)، كتاباً في علم الطب، بعنوان: (طب العرب)، تحقيق: محمد العربي الخطابي، وفي القرن نفسه أَلَفَ (خُنين بن إسحاق العبادي، أبو زيد)، (ت260)، كتاباً قيمة في الطب، منها: (أسباب الأمراض لجالينوس)، و(تقدمة المعرفة لأبقراط)، و(رسالة جالينوس في الأسماء الطبية)، و(تاريخ الأطباء والفلاسفة)، ومؤلفات متعددة أخرى.

وفي القرن نفسه أَلَفَ (يونس بن إسحاق، ابن بكلاش)، كتابه الموسوم ب(الأدوية المفردة المسمى المستعيني)، تحقيق: محمد العربي الخطابي، وأَلَفَ (علي بن سهل بن رِبِن الطبري، أبو حسن)، (ت247)، كتاباً في علم الطب أسماه: (فردوس الحكمة في الطب)، وأَلَفَ (إسحاق بن علي، الرهاوي)، (ت ق3)، كتاباً في أخلاق الطبيب بعنوان: (أدب الطبيب)، وأَلَفَ (أحمد بن داود، أبو حنيفة الدينوري)، (ت282)، كتابه في علم النبات: (كتاب النبات)، وأَلَفَ (عبد الملك بن قريب، أبو سعيد الأصبغي)، (ت216هـ)، كتابه في علم العسكرية بعنوان: (الصلاح)، وأَلَفَ (الهروي، القاسم بن سلام، أبو عبيد)، (ت224)، في علوم عدة، منها: علم الأموال في كتاب أسماه: (الأموال)، وعلم العسكرية في كتاب أسماه: (الصلاح)، وعلم الفلك في كتاب أسماه: (السحاب والمطر والأزمنة والرياح)، وأَلَفَ (ابن ماسويه، يوحنا المطيب الفلكي، أبو زكريا)، (ت243)، كتاباً في علوم متعددة، منها: علم البحار والمعادن في كتابه الموسوم ب(الجواهر وصفاتها، وفي أيِّ بلدٍ هي، وصفة الغواصين والبحار)، ومنها: في علم الطب كتابه: (النوادر الطبية التي كتب بها يوحنا بن ماسويه إلى حنين بن إسحاق)، وظلت الجهود تبذل فتكاثرت المؤلفات وزادت عن ذلك بكثير.

أمَّا في القرن الرابع الهجري أَلَفَ (سليمان بن حَسَّان الأندلسي، أبو داود ابن جلجل)، (ت372)، كتابه: (طبقات الأطباء والحكماء)، وأَلَفَ (محمد بن زكريا، أبو بكر الرازي)، (ت320)، كتاباً كثيرة، منها: (أخلاق الطبيب)، و(الأسرار)، و(بُرْءُ الساعة)، و(الجدري والحصبة)، و(الحاوي في الطب) في ثلاثة عشر جزءاً، و(الفاخر في الطب)، و(الفصول أو المرشد)، و(كلام في الفروق بين الأمراض)، و(المدخل الصغير إلى علم الطب)، و(المدخل إلى صناعة الطب)، و(مقالة في الحصى وفي الكلى والمثانة)، و(من لا يحضره الطبيب)، و(المنصوري في الطب)، وله كتاب نافع في علم الأغذية بعنوان: (منافع الأغذية

ودفع مضارها)، كما أُلّف في علم النفس كتابه: (الطب الروحاني)، و(أحكام الفراسة)، وأُلّف (أحمد بن سهل، أبو زيد البلخي)، (ت322)، كتابه: (مصالح الأبدان والأنفس)، وأُلّف (أحمد بن يوسف بن إبراهيم، ابن الداية)، (ت340)، كتابه في علم السياسة: (كتاب السياسة لأفلاطون)، وأُلّف (علي بن الحسين، أبو الفرج الأصفهاني)، (ت356)، كتباً عدة في علم الموسيقى، منها: كتابه: (القيان)، تحقيق جليل عطية، وكتابته: (الأغاني)، في عشرين جزءاً، وأُلّف (محمد بن أبي محمد المالقي، أبو عبد الله الأندلسي السقطي)، (ت4)، كتاباً في علم الإدارة بعنوان: (آداب الحسبة)، وأُلّف (الصاغاني أو الصغاني، أحمد بن محمد بن الحسين)، (ت380)، كتاباً في: (كيفية تسطيح الكرة على شكل الإسطراب)، وأُلّف (الصوفي، عبد الرحمن بن عمر الرازي)، (ت376)، كتابين في علم الفلك، هما: (صور الكواكب الثمانية والأربعين)، و(العمل بالإسطراب)، وأُلّف (المجوسي، علي بن العباس، أبو الحسن)، (ت384)، كتاب (كامل الصناعة الطبية – الكتاب الملوكي)، وعدا ذلك الكثير مما أُلّفه العرب والمسلمون.

وفي القرن الخامس الهجري أُلّف (علي بن رضوان بن علي، ابن رضوان)، (ت460)، كتباً كثيرة في علم الطب، منها: (رسالة ابن رضوان إلى أطباء مصر والقاهرة المعزية)، و(مقالة التطرق بالطب إلى السعادة)، و(مقالة في قوى النفس)، وله في علم الصيدلة كتابه (الكفاية في الطب)، ويُسمى: (كفاية الطبيب فيما صحَّ لديّ من التجارب)، كما أُلّف (خلف بن عباس الأندلسي، أو القاسم الزهراوي)، (ت427)، كتباً عدة في علم الطب، منها: (التصريف لمن عجز عن التأليف)، و(مقالة في الأدهان)، و(مقالة في الجراحة)، وأُلّف (صاعد بن الحسن الطيب، أبو العلاء)، (ت464)، كتاباً في الطب، بعنوان: (كتاب التشويق الطبي)، وأُلّف (الحسين بن عبد الله، أبو علي ابن سينا)، (ت428)، كتباً مفيدة في علم الطب، منها: (القانون في الطب)، و(الرحمة في الطب والحكمة)، و(مختصر الطب النبوي)، و(دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية)، و(رسالة في الرد على الشيخ أبي الفرج بن الطيب في الطب)، و(رسالة في القوى الإنسانية وإدراكاتها)، و(الشفاء)، وله كتاب في الأدوية بعنوان (الأدوية القلبية)، وله أرجوزة في الطب أسماها: (الأرجوزة في الطب)، وله كتبٌ في علوم أخرى، منها: علم النفس في كتابه الموسوم بـ(الأخلاق والانفعالات النفسية)، و(أحوال النفس – رسالة في النفس وبقائها ومعادها)، وفي علم الرياضيات له كتاب بعنوان: (الرياضيات)، و(علم الهيئة – الرياضيات)، وله في علم الموسيقى كتابٌ بعنوان: (رسالة في الموسيقى)، وفي علم النبات: (الطبيعيات – النباتات)، وأُلّف (أحمد بن محمد بن عبد الجليل، السَّجْزِي)، (ت415)، كتباً مهمة في علم الهندسة، منها: (استخراج الموسطين، وقسمة الزاوية المستقيمة الخطين بثلاثة أقسام متساوية بطريق الهندسة)، تحقيق: أحمد سعيدان، و(تثليث الزاوية الخط المستقيم ومحيط القطع الزائد)، و(رسالة في الشكل القطاع)، وأُلّف (الحسين بن محمد، أبو منصور ابن زَيْلَةَ)، (ت440)، كتابه في علم الموسيقى: (الكافي في الموسيقى)، وأُلّف (الصابئ، الهلال بن المحسن، أبو الحسن)، (ت448)، في علم السياسة كتابه: (رسوم دار الخلافة)، وأُلّف (الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن)، (ت450)، كتاب (الأحكام السلطانية والولايات الدينية)، و(أدب القاضي)، و(التحفة الملوكية في الآداب السياسية)، و(أدب الوزير، وقوانين الوزارة)، وأُلّف (ابن متدويه

الأصفهاني، أحمد)، (ت410)، كتابًا في المركبات الكيميائية العطرية بعنوان: (رسالة في أصول الطب، والمركبات العطرية)، وألف (المُرادي، محمد بن الحسن الحضرمي، أبو بكر)، (ت489)، كتاب (السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة)، و(رسالة في اللذات والآلام)، و(رسالة في النفس والعقل)، وألف (المستغفري، جعفر بن محمد النسفي)، (ت432)، كتابه (طب النبي)، وألف (ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب)، (ت421)، كتابه (رسالة في ماهية العدل)، وألف (الوزير المغربي، الحسين بن علي بن الحسين، أبو القاسم)، (ت418)، كتاب (في السياسة)، وألف (الصاحب تاج الدين، محمد بن محمد بن علي)، كتابًا في طبّ الحيوان بعنوان: (كتاب البيطرة)، وغيرها.

وفي القرن السادس الهجري أَلَفَ (محمد بن أحمد الأندلسي، ابن رشد)، (ت595)، كتابًا في علم الطب، منها: (مقالة في قوى النفس)، و(تلخيص كتاب النفس)، كما أَلَفَ (عبد الملك بن زهر، أبو مروان ابن زهر) (ت1131م)، كتابًا في علم الطب، بعنوان: (التيسير في مداواة والتدبير)، وألف (السموأل بن يحيى بن عباس المغربي)، (ت570)، كتابًا في علم الرياضيات، منها: (الباهر في علم الحساب)، و(الباهر في الجبر)، وألف (الشيذري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله)، (ت589)، كتابًا في السياسة بعنوان: (المنهج المملوك في سياسة الملوك)، وفي إدارة المال (نهاية الرتبة في طلب الحسبة)، وألف (الطوسي، المظفر بن محمد، شرف الدين)، (كان حيًا عام 576)، كتابًا في الرياضيات بعنوان: (المعادلات)، وتتنوع المؤلفات في العلوم المختلفة، وما تمَّ عرضه نماذج؛ لإثبات صلاحية اللغة أن تحتويها كلها وغيرها.

وفي القرن السابع الهجري أَلَفَ (محمد بن علي، نجيب الدين أبو حامد السمرقندي)، (ت619)، كتابًا في علم الطب، منها: (الأسباب والعلامات)، و(الأقربادين في الطب)، وألف (عبد الله بن أحمد المالقي، ضياء الدين ابن البيطار)، (ت646)، كتابًا عدَّةً، منها كتاب: (في الأدوية المفردة - الحشائش)، وهو تفسير لكتاب (دياسقوريدوس)، وكتاب: (تنقيح الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)، وألف (علي بن سعيد بن موسى، نور الدين المغربي)، (ت685)، كتابه في علم الهندسة: (بسط الأرض في الطول والعرض)، كما أَلَفَ (محمد بن منصور بن حبيش)، (ت673)، في علم السياسة كتابه: (الجواهر النفيس في سياسة الرئيس)، تحقيق: رضوان السيد، وألف (الطوسي، محمد بن محمد بن حسن، نصير الدين)، (ت672)، كتابًا في الرياضيات وعلم الهندسة، منها: (تحرير أصول الهندسة لإقليدس)، و(تحرير المعطيات لإقليدس)، و(تحرير المناظر لإقليدس)، و(جوامع الحساب بالتخت والتراب)، و(الرسالة الشافية عن الشك في الخطوط المتوازية)، و(شكل القطاع (تربيع الدائرة))، وله في علم الفلك كتابًا، منها: (الطلوع والغروب لأطولوقس)، و(ظواهرات الفلك لإقليدس)، و(الكرة والاسطوانة لأرشميدس)، و(الكرة المتحركة لأطولوقس)، و(كتاب مانالوس)، و(معرفة مساحة الأشكال لبني موسى)، وله في علم الموسيقى كتابًا بعنوان: (رسالة في علم الموسيقى)، وألف (المظفر الرسولي، يوسف بن عمر بن علي)، (ت694)، كتاب (المعتمد في الأدوية المفردة)، وألف (ابن هبل، علي بن أحمد، مهذَّب الدين أبو الحسن)، (ت610)، كتاب (الفاخر في الطب - فصل في الحصى والرمل في الكلى)، و(المختار في الطب)، أو (المختارات في الطب)، ولم تنحصر المؤلفات عند تلك؛ بل يوجد غيرها كثير.

وفي القرن الثامن الهجري ألف (الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي)، (ت726)، كتابه: (الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)، كما نظم أرجوزته الشهيرة: (أرجوزة في الإمامة)، وألف (محمد بن علي الخطيب الإربيلي) (ت729)، كتابه (أرجوزة الأنغام)، في علم الموسيقى، وألف (ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا)، (ت709)، كتابه في البروتوكول وأدب الحكم، بعنوان: (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية)، وألف (التيفاشي)، كتابًا هذبَه (ابن منظور، محمد بن المكرم، أبو الفضل)، (ت711)، بعنوان: (سرور النفس بمدارك الحواس الخمس)، وألف (ابن منكلي، محمد بن منكلي القاهري)، (ت778)، كتاب (الأدلة الرسمية في التعابي الحربية)، وهناك مؤلفات كثيرة أخرى.

وفي القرن التاسع الهجري ألف (المقرئزي، أحمد بن علي، تقي الدين أبو العباس)، (ت845)، كتابه (الأوزان والأكيال الشرعية)، و(شذور العقود في ذكر النقود)، وتتابع العلم في القرن العاشر الهجري فألف (أحمد بن محمد، أبو العباس شهاب الدين ابن حجر الهيتمي)، (ت974)، كتابه: (الإفادة لما جاء في المرض والعيادة)، وألف (الهروي، محمد بن يوسف الطيب)، (ت924)، كتاب (بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبية العربية واللاتينية واليونانية)، وألف (الهروي، موفق بن علي، أبو منصور)، (ت970)، كتاب (الأبنية عن حقائق الأدوية)، وفي القرن الحادي عشر ألف (حسن كافي الأخصاصري)، (ت1025)، كتابه في علم السياسة: (أصول الحكم في نظام العالم)، وألف (المناي، عبد الرؤوف بن علي بن تاج العارفين)، (ت1031)، كتابه (النقود والمكايل والموازن).

#### احتواء اللغة العربية للعلوم ما بعد القرن الحادي عشر الهجري

إنَّ العرب أدركوا أهمية الترجمة؛ لكنهم مع ذلك الإدراك لم يبدؤوا العلوم التي درجت عند غيرهم من نقطة بدايتها، ولم يكرروا "ما بُدِّل قلبه من جهود؛ بل انطلقوا من حيث انتهى هؤلاء بحثًا وتجريبًا وتأليفًا"<sup>(41)</sup>، ففي عصر (محمد علي باشا) تمَّ نقل "ما لدى الغربيين من علم جديد في الجيش والأسطول والمدارس والمستشفيات والإدارة الحكومية، فنقلت العلوم الحديثة المختلفة إلى اللغتين (العربية والتركية)، بعددٍ غير قليلٍ من الكتب؛ لرغبة (محمد علي باشا)، والغالب على هذه الكتب أنها تبحث في فنِّ الحكم، ونظمه، وسياسته، وتراجم العظماء والمصلحين"<sup>(42)</sup>، وإنَّ غلبت الموضوعات تلك في حقبة زمنية، فلا يعني ذلك غياب الموضوعات الإنسانية الأخرى أو ندرتها عن حركة الترجمة؛ بل هناك حركة دؤوب أثرت المكتبة العربية المعاصرة بعلوم لا حصر لها، وكان لها الأثر البالغ في تطويرها، والناظر إلى الأجناس الأدبية لا ينكر ذلك التأثير.

إنَّ الرواية والمسرحية والقصة القصيرة والمقالة وغيرها من الأجناس الأدبية دخلت إلى العربية من طريق الترجمة بالمشافهة والكتابة؛ ولكن ثمة عقبات أثرت في حركة ترجمة المصطلحات والمفاهيم والنصوص من اللغات الأخرى إلى العربية، من حيث ضعف النتاجات، واضطراب التراجم، وتعدد المصطلحات لمفهومٍ واحدٍ، واختلاط بعض المفاهيم لمصطلحٍ واحدٍ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنَّ ما يُترجم من الكتب العلمية الحديثة قليل جدًا إذا ما قورن بعدد الكتب والدراسات الأجنبية المؤلفة؛ لذا فإنَّ تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام (2003م)، يصفُ الترجمة العربية بالفوضى والضعف. فمتوسط الكتب المترجمة

لكلِّ مليون مواطن عربي في السنوات الأولى في الثمانينيات كان يساوي (404 كتب)، أي أقل من كتابٍ واحدٍ في السنة، وإذا نظرنا إلى (إسبانيا) - كما نُظِّمنا به مجلة (National Geographic) - أن مجموع المؤلفات المترجمة للغةها خلال العام (2003م) وحده، يتجاوز ما ترجم للعربية خلال عقود<sup>(43)</sup>، ولم يتوقف تطور اللغة العربية عند حركة الترجمة القديمة؛ بل استمر التطور قائماً حتى اليوم عبر ظواهر لغوية عديدة، والترجمة ما هي إلا واحدة من تلك الظواهر لا تزال قائمة لم تنته، واستمر معها تطور اللغة العربية، وإن كانت تمرُّ بمراحل متفاوتة ضعفاً وقوةً.

ولم يتوقف تطور اللغة العربية عند حركة الترجمة القديمة؛ بل استمر التطور قائماً حتى اليوم عبر ظواهر لغوية عديدة، والترجمة ما هي إلا واحدة من تلك الظواهر لا تزال قائمة لم تنته، واستمر معها تطور اللغة العربية، وإن كانت تمرُّ بمراحل متفاوتة ضعفاً وقوةً. ففيها ألف (أحمد بن حسين، صفي الدين الرُّقَيْحِي)، في علم الفلك كتابه: (الشهاب الثاقب السامي على مراتب الكواكب)، وألف (المسلم الموصلي، أحمد بن عبد الرحمن الرفاعي)، (ت1150)، كتاباً في علم الموسيقى بعنوان: (الدُّرُّ النقي في علم الموسيقى). وألف (علوي بن السيد أحمد، السقاف)، (كان حياً سنة 1295)، كتاباً في الطب بعنوان: (علاج الأمراض الرديئة بشرح الوصية الحدادية). وألف (بابا بن عبد النبي الحسيني الشريفي، أبو القاسم الذهبي)، كتباً عدة في علم الأرض والفلك، منها: (رسالة في الأفلاك)، و(الشبهة في حركة الأرض)، و(تعليقات على رسالة بطلان تناهي الأبعاد).

لقد صار الركون سيد الموقف فيما بعد القرون الوسطى، حتى نهضت بعض العلوم من جديد في القرن التاسع عشر الميلادي، ومشارف القرن العشرين، وبدأ التأليف بالعربية والترجمة منها وإليها يأخذ طريقه دون نكران، ففي عهد رئاسة (كلوت بك) للمدرسة - القصر العيني - عربَّ الأساتذة المصريون (86 مرجعاً طبياً)، عن الفرنسية، وبذلك تكونت أول مكتبة عربية، وكانت تعتبر أكبر مكتبة طبية في العالم<sup>(44)</sup>. ومن الكتب الطبية للدكتور (أحمد حسن الرشدي) (ت1865م)<sup>(45)</sup>: عدة المحتاج لعلمي الأدوية والعلاج. (4 أجزاء)، وطالع السعادة والإقبال في علم الولادة وأمراض النساء والأطفال، والروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية. ومن الكتب الطبية للدكتور (أحمد حمدي بك الجراج) (ت1899م): تحفة الحبيب في العمليات الجراحية والأربعة والتعصيب، والراحة في أعمال الجراحة، والتحفة العباسية في الأمراض التصنيعية. ومن الكتب الطبية للدكتور (حسن محمود باشا) (ت1906م): الفراند الطبية في الأمراض الجلدية، والخلاصة الطبية في الأمراض الباطنية، وتحفة السامع والقاري في داء الطاعون البقري الساري. وإنَّ هناك آلاف الكتب والمنظومات والأراجيز التي احتوت علومًا ومعارف كثيرة ومختلفة، وسعتها اللغة العربية، بمصطلحاتها، ومفاهيمها، وشروحها، وتفصيلها، وقدمتها إلى القارئ العربي دون أن يشعر بغرابتها أو صعوبة فهمها. ومن الملاحظ مما سبق ما يلي:

أولاً: أنَّ الاشتغال بالتأليف والترجمة للعلوم الإنسانية كان غالباً على أنواع محددة من العلوم، منها: علوم الدين، والعربية، والمال والخراج، والطب، وذلك في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، مع عدم إغفال بعض الجهود المنثورة المبذولة في العلوم الأخرى.

**ثانيًا:** بدأ الإشتغال في العلوم الطبية والهندسية وبعض العلوم الأخرى يغلب في القرن الرابع الهجري، حتى بلغ أوجه عند العرب في القرن السابع، ثم بدأ يتضاءل فيما بعد حتى أواسط القرن التاسع عشر.

**ثالثًا:** أنّ عدد المؤلفات العلمية للعالم العربيّ الواحد كانت عديدة، حيث زادت مؤلفات بعضهم عن الألف مؤلف، وأنّ ما ذكرته كتب التأريخ والتوثيق عن أعداد العلماء المنتجين كثيرٌ، وبالتالي صار التأليف في كتب كثيرة عند العرب ميزة، وعدد المؤلفين عندهم مفخرة، هذا وقد نبغ بعضهم؛ وكان كشكولاً في العلم، بمعنى أنّ الواحد منهم كتب في علمٍ عدة، منهم: ابن سينا، والفارابي، والزهراوي، وابن نصير، والخورازمي، وغيرهم.

**رابعًا:** بدأت محاولات إحياء العلوم التطبيقية؛ لتتوازي مع ما كان من جهود وإنتاجات سابقة، ومن تلك العلوم: الطب، والهندسة، والفلك، وغيرها، بعد منتصف القرن العشرين، وذلك عن طريق الترجمة، ثم توالى التراجم من اللغات الأجنبية كاللاتينية والإنجليزية والفرنسية، بينما ندرّ التأليف والإنتاج العلمي عند العرب، واستمر هذا الحال إلى اليوم.

### اللغة العربية واحتواء العلوم:

افتقرت اللغة العربية في عصر ما قبل الإسلام إلى احتواء العلوم عامة إلا النزر اليسير، إذ لم يصلنا من ذلك العصر أيُّ علمٍ نظريٍّ أو تطبيقيٍّ سوى ما جاء بين السطور في فنون القول من شعر ونثر، ولم تكن العلوم حينها قد استقلّت منفصلة. فالشعر الذي تمثل في المعلقات العشر، وشعر الصعاليك، وأشعار المفضليات والأصمعيات، وجمهرة العرب، وغيرها لم يذكر في ثناياها إلا القليل من العلوم الإنسانية، كما أنّ ذكر ذلك لم يكن مقصود الشعراء ولا مذهبهم. أمّا النثر الذي ضمّ الأمثال والحكم وسجع الكهان والخطابة والوصية والرسائل والحكاية وغيرها من الأجناس اللغوية فقد انحصرت الموضوعات فيه، وتحدت إلى أنواع لا تغطي العلوم الإنسانية كاملة من طبٍّ وهندسة وصيدلٍ وغيرها، فافتقرت النصوص النثرية في العصر الجاهلي إلى احتواء العلوم وتفاصيلها. في حين أنها اشتملت بعضًا من العلوم الأخرى، منها: علم الفلك والطبيعة، وشيء من التاريخ، والديانات، والآثار. وسبب هذا الافتقار أنّ أهلها لم يكونوا مكتسبين لنيل العلوم في المجالات كافة، ولمّا برع غير العرب من فرس وروم بعلوم الطب والهندسة والفلك وغيرها، وخرج من بينهم أطباء ومهندسون وفلكيون وأدباء لم يكن العرب منشغلين آنذاك إلا بالتفاخر في مناقب أسلافهم المعنوية من كرم وشهامة وشجاعة وبسالة، وغفلوا عن ميادين العلم والمعرفة، وإن كان حالهم كذلك فيما قبل الإسلام، فقد تغيّر حين جاء الوحي بـ(اقرأ)(سورة القلم: 1)، و(القلم وما يسطر)(سورة القلم: 2)، و(علم الإنسان ما لم يعلم)(سورة العلق: 5)، و(علمه البيان)(سورة الرحمن: 4)، و(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)(سورة الزمر: 9).

إنّ العرب كما يرى الإمام ابن تيمية "كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير، معطلة عن فعله، ليس عندهم علمٌ منزل من السماء، ولا شريعة موروثة عن نبي، ولا هم - أيضًا - مشتغلين ببعض العلوم العقلية المحضه، كالطب والحساب، ونحوها، إنما علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم، وما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم، أو من الحروب، فلما بعث الله محمدًا

– صلى الله عليه وسلم – بالهدى... تَلَفَّوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم من العادات الجاهلية... واستنارت بهدى الله تعالى... فاجتمع لهم من الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، والكمال الذي أنزل الله إليهم... ومن تشبَّه من العرب بالعجم لحق بهم، ومن تشبَّه من العجم بالعرب لحق بهم، ولهذا كان الذين تناولوا العلم والإيمان من أبناء فارس، إنما حصل ذلك بمتابعتهم للدين الحنيف، بلوازمه من العربية وغيرها، ومن نقص من العرب إنما هو بتخلفهم عن هذا<sup>(46)</sup>، فإنهم لم يلبثوا أن تغير حالهم، وانتقلوا من العجز عن احتواء العلوم والمعارف إلى أمة تسعى إلى ذلك، وتحت الخطو للتميز فيه، وقد كانت كفوًا في احتواء العلوم التي بدأت تُوَلَّف بعد ثبات أركان الإسلام، وامتداد ذراعيه في الأمصار، وللقرآن الكريم دلالة سبق على ذلك، فقد تضمن ألفاظاً جديدة، ومعاني غير مطروقة، في علوم شتى، منها: علم من غير (التاريخ)، والحساب، والطب، والفلك، وأضاف للغة العربية ما لم يكن معلوماً لدى العربي آنذاك.

لقد أنتجت في ظل الحضارة الإسلامية أعداد كثيرة من الكتب والمؤلفات العربية التي غطت فروع المعرفة المختلفة من فلك وطبيعة وطب وهندسة وفيزياء وحاسوب وكيمياء وأحياء وغيرها، ويمكن للقارئ العربي أن يحصل عليها بسهولة، وهي متاحة في أماكن متعددة، للمختصين والعامة. واستمر هذا حالاً للغة العربية مع العلوم المختلفة حتى القرون الوسطى الميلادية – تقريباً – ثم بدأ التأليف فيها يتضاءل شيئاً فشيئاً؛ حتى إن الناظر إلى حال العلوم التطبيقية تدهشه حالة التسرُّر التي استمرت عليها أمة العرب والمسلمين حتى اليوم، وإنه ليعجب من توقف العطاء عند الجهود القديمة التي بذلت، ومن تباطؤ الخطوات في تتبعها، والتكؤ في الاستمرار برسالتها، ومن تبعثر التوجهات والجهود العربية والإسلامية التي لم تستطع أن تمضي لمواكبة الحضارات الأخرى، وتسير متسارعة للحاق بها؛ حتى غدت لا تقدر أن تدع عنها أغلال التفرد والتشردم والتمزق الواقع على حالها، وإن اتهام اللغة العربية بالعجز عن مواكبة العلوم الحديثة على اختلافها، وعدّها لغة غير صالحةٍ للتحصيل العلمي، وتفضيل غيرها عليها في الدرس والتأليف، وادعاء قصورها عن وضع مصطلحاتٍ علميةٍ مواكبةٍ ومناسبة؛ فهذا – كما يرى الباحث – ليس متعلقاً في اللغة ذاتها، وإنما يعود إلى عوامل عدّة، والظأن أن السبب في ذلك هو اللغة ذاتها فقد جانب الصواب، كما أن ظنّه هو عينُ تجرُّ على اللغة العربية، وما يؤكد أن حال اللغة العربية لا يتساير مع التطور العلمي بشكله المطلوب بما لا علاقة لذات اللغة به مجموعة من العوامل، من أبرزها:

**العامل الأول:** عدم الاستفادة من مخرجات العقل العربي وجهوده وطاقاته المختلفة على مرّ العصور، وأشكال تلك العدمية إقصاءً متعمدً للطاقات العلمية، وهجرة العقول التي تتسبب بها سياسات الدول العربية المرتكزة إلى غير الديمقراطية، والتي تتغلب فيها المصالح الفئوية والحزبية على مصلحة الهوية القومية، وهي اللغة.

**العامل الثاني:** ضعف الدعم المقدم من الجهات السيادية في دول الوطن العربي للبحث العلمي في المجالات كافة؛ لذا صارت البحوث والدراسات المنجزة حبراً على ورق، تتكدس فوق رفوف المكتبات، وتأكلها الأرضة، وتبلى دون ترميم، وتنتظم في قوائم الحواشيب، دون حافز إلى إضافات علمية نوعية، من ترجمات ومؤلفات جديدة.



**العامل الثالث:** عدم وجود سياسة قومية حكومية رسمية تتبنى مساندة اللغة العربية للعلوم، وتقرر بوجوب العمل بها في ربوع الدولة ووزاراتها كافةً مع إقرار مستحدثات العلم وتطورات الواقع. فالسياسات القومية غير الجادة وغير المناسبة في دعم اللغة العربية أو توفير بنية أساسية لها؛ من مراكز تعريب وترجمة، ومراكز بحوث مختصة من الأسباب الرئيسة لركود اللغة العربية علمياً. يقول الأستاذ الدكتور (عبد الملك مرتاض) رئيس المجلس الأعلى للغة العربية - سابقاً - بالجمهورية الجزائرية في عام (1999م): اتصل بنا مجموعة من الأطباء الجزائريين الشباب، وأبدوا رغبة عارمة في تدريس الطب باللغة العربية، كنا نريد أن يقع الابتداء بتعريب السنة الأولى ثم الثانية إلى آخر المسار الدراسي.. ولكن مسألة تعريب الطب خصوصاً في الجزائر، وفي العالم العربي كله إلا سورية التي تمثل الاستثناء، هي مسألة سياسية لا لغوية"<sup>(47)</sup>.

**العامل الرابع:** عدم وجود سياسة جامعة للمجامع اللغوية العربية في الوطن العربي تقر ما يخدم استمرار اللغة العربية الأم، وبفروعها ومستوياتها المختلفة. فعدم توحيد المجامع اللغوية العربية، مع تعثر الاستمرار في الجهود المبذولة منها في خدمة اللغة العربية؛ وذلك لأسباب كثيرة، والتباؤ عن دعم تلك المجامع، وغياب تعزيز القائمين عليها، وإغفال جهودهم، وتضييق دائرتهم، وعدم تقوية مرجعيتهم، لا يسهم إلا في ضياع اللغة وبعثرتها، ويحد من استمرارها قوية مواكبة للتطور العلمي.

**العامل الخامس:** شعور كثير من المثقفين العرب بالنقص الذاتي في اللغة العربية، الذي يتجاوز حدّ الشعور عند البعض؛ ليصل إلى حدّ القناعة بذلك، مع وجود شعور معاكس يُقرُّ بكمال اللغة الأجنبية الوافدة كالإنجليزية بوجه خاص. وضعف الشعور العام عند الإنسان العربي إزاء لغته العربية، والتوهم بعدم قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، وملاحقة مستجدات العصر هو سبب رئيس من أسباب هذه المحنة، لاسيما وقد برز من ذلك الشعور الواهن بعض من الدعوات الخطيرة التي تشكل قناعات راسخة لدى بعض مثقفي العرب كدعوة (سلامة موسى) وغيره التي نادى بصوتٍ غير خافتٍ إلى التفريق بين لغة العلم ولغة الدين في المعاهد والمؤسسات العلمية والإعلامية العربية، كما نادى علانيةً بفصلهما، واستبدال لغة الدين والقومية والتراث بلغة العامة الدارجة، ونادى أصوات آخرين إلى استبدالها بلغاتٍ أجنبية، ودعا آخرون على استحياءٍ أن تنحصر اللغة العربية الفصحى في علوم الدين، فتصير مقصورة على رجال الدين أو المختصين بها، كما هو الحال في الآرامية، والسريانية القديمة، رغبةً بفصلها عن حياة الناس، وأملاً في التطبيق العلماني، وأخفوا دعوتهم على الكثير؛ لنلا يستقروا الأمة، ويشعروا أهلها بالتحدي<sup>(48)</sup>.

**العامل السادس:** انقسام المثقفين العرب إلى فرق أمام لغتهم، ففريق يرى إمامة الفصحى، وآخر يرفضها، وثالث يرى تخصيصها في الخطاب الديني، ورابع يدعو إلى تبسيطها؛ لتكون صالحةً لمتطلبات العصر، مع الحفاظ على الكثير من أساليبها وكلماتها وتراكيبها. وما زال هذا الانقسام واقعاً في الأقطار العربية كافة، وما زال أواره يستعر، والضحية اللغة.

**العامل السابع:** الانقسام السياسي الذي تقع فيه الأمة العربية والإسلامية، وفرقة كلمتها، واختلاف الوسائل والأساليب والأهداف التي تنتهجها كل دولة أدت إلى ضعف الاهتمام باللغة الأم، وضعف الرؤى في توحيد اللسان اللغوي العربي.

**العامل الثامن:** وجود تراكم معرفي (علمي وثقافي)، في مجالات الحياة كافة، فكلُّ دقيقةٍ تُمرُّ يزداد الأمر وعورة وصعوبة أمام المعالجة اللغوية، وسيفيق العربُ والمسلمون على كمِّ هائلٍ من المعارف والعلوم والثقافات التي يحتاجون إلى ترجمتها وتعريب مصطلحاتٍ فيها، عندها لن يكون العلاج سهلاً، وستتفق الأمة لتحقيقه مدة زمنية أكبر، وجهذاً أعظم؛ لتفادي المزيد من القصور. فالتطور الحاصل في مجالات الحياة المختلفة، التقنية التكنولوجية والرقمية والاتصالات والاقتصاد والسياسة والصناعة بأنواعها، وغير ذلك يضع نفسه متحدياً خطيراً أمام اللغة العربية؛ لكثرة ما يفرز من تفاصيل، يحتاج كلُّ منها إلى ما يتناسب معه من مصطلح؛ ليكون سهل النطق، مناسب الصرف، والصوت، لا يشذ عن نسل اللغة العربية<sup>(49)</sup>.

### اللغة العربية بين هيمنة اللغات واحتواء العلوم:

إنَّ الحداثة اليوم بما احتوته من متغيرات في خريطة الحياة المعاصرة بتفاصيلها تفرض هيمنة شبه شاملة على كل مفردة من مفردات الحياة، وليس من اليسير التماشي مع تلك المتغيرات المتسارعة، وقد اتكأت الحداثة على السلطة والنفوذ؛ للاستحواذ على كلِّ شيء، ومن أشكاله اللغة التي يسيطر أصحابها على قطاع كبير من العالم، سواءً سيطرة جغرافية أو سياسية أو علمية أو غير ذلك، ويرى (البحث) أنَّ أسباب هيمنة بعض اللغات الأجنبية على العالم مختلفة باختلاف نسبة الهيمنة على شأن أو أكثر من شؤون الحياة الاعتيادية، وإنَّ أبرز أنواع الهيمنة المساعدة على انتشار لغة ما في العالم تتمثل في العوامل الآتية:

### العوامل الداخلية:

إنَّ عدد المتحدثين بلغة ما لا يمثل - حقيقةً - انتشار تلك اللغة، أو عولمتها، فإنَّ أكثر الإحصائيات - إن لم يكن كلها - تشير إلى أنَّ أكثر لغةٍ في العالم تحدُّثاً هي اللغة الصينية؛ والكلُّ يعلم أنَّ سبب انتشار أو عولمة اللغة الصينية بقدر ما يعود لعدد سكان الصين الهائل<sup>(50)</sup>، كما أقرَّت الصين بعض القوانين الخاصة؛ حفاظاً على لغتها؛ وخشيةً من توغل اللغة الإنجليزية المتزايد في بلادها. وألزم القانونُ المُقرُّ وسائل الإعلام - المقرَّوة والمسموعة والمرئية - ببدا العمل به من مطلع يناير عام (2001م)، وضرورة الالتزام به، وفق الأسس المتعارف عليها في اللغة الصينية المعتمدة على الكتابة المبسطة في الصين الأم، بعيداً عن الكتابة المعقدة في المستعمرة البريطانية السابقة (هونغ كونغ)<sup>(51)</sup>، ومن المعلوم "في إطار مواجهة فرنسا لغزو اللغة الإنجليزية، والانبهار بكل ما هو أمريكي، وشيوع لغة الاستهلاك، والإغراء بالعادات والأنماط والتسميات الأمريكية؛ وحرصاً منها على هويتها وثقافتها، أصدرت عام (1994م) قانوناً باسم (لزوم الفرنسية)، يحظر على الفرنسيين أن يستخدموا أية لغة أجنبية في خطابهم العام؛ مشيراً إلى كافة الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئية، والأفلام الدعائية، التي تبث عبر الإذاعة والتلفزيون والمحلات التجارية والشركات العاملة على الأرض الفرنسية. ونصَّ القانون على عقوبة مغلظة؛ هي

غرامة تُصِلُّ إلى ألفي دولارٍ، والسند في ذلك - كما تقول ديباجة القانون - إنَّ اللغة الفرنسية فيها من الألفاظ والمعاني ما يُغني عن استخدام لغات أجنبية في الخطاب العام<sup>(52)</sup>، كما أنَّ الألمان طالبوا أن تحذو بلادهم حذو فرنسا، بسنَّ تشريعاتٍ تمنع استخدام المصطلحات الأجنبية في الإعلانات، والوسائل الإعلامية. ويؤكد اللغويون الألمان على ضرورة اتخاذ إجراءٍ ما؛ لحماية اللغة التي يُعدُّونها أعلى ما تملكه أمةٌ؛ للحفاظ على وجودها<sup>(53)</sup>، ولذا وجب على أهل العربية أن يقرؤا في دستورهم قوانين توجب الاهتمام باللغة العربية في مجالات الحياة كافةً عبر وسائل الإعلام المختلفة، وسنَّ بعض القوانين التي تحذر من تغليب اللغات الأجنبية على العربية في أيِّ شأنٍ من شؤون الدولة بما يؤثر في اللغة العربية سلباً،

**العوامل الخارجية، وتتمثل فيما يلي:**

#### **العامل الأول: النفوذ السياسي**

من الواضح أنَّ النفوذ السياسي لبعض الدول في العالم أسهم وما زال في بسط لغاتها، وتغليب مكانتها على اللغات الأخرى، فالاستقواء السياسي لدولة ما مكنَّ لغتها، فصارت لغة الحوار والتفاوض، ولغة المكاتبات الرسمية، ولغة الدراسات السياسية، ولغة الخطابات الجماهيرية، فسيادة الدولة تكسبها القوة في مناحي الحياة، واللغة واحدة من مناحي الحياة التي تكتسب وجودها وقوتها من سيادة الدولة، وذهب كثيرٌ من المتفقين إلى أنَّ المشكلة الرئيسة المتسببة في تدهور اللغة العربية الفصحى، وعدم احتوائها مستحدثات العلوم المختلفة متمثلة في ضعف السياسة العامة، وهم متفقون في الوقت ذاته على أنَّ "التفكير في مستقبل اللغة العربية قضيةٌ بالغة الأهمية في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ولها صلةٌ وثيقةٌ بسيادة الأمة العربية الإسلامية على ثقافتها وفكرها، وعلى كيانها الحضاري، وعلى حاضرها ومستقبلها. فهذه (قضية سيادة)، بالمعنى الشامل، وليست مجرد قضية لغوية وأدبية وثقافية"<sup>(54)</sup>، وإنَّ مواجعة اللغة العربية للواقع، ووضعها في مكانها اللائق، يوجب على أصحابها، والمهتمين بها، والمتذوقين لها، ألا يكونوا بمعزلٍ عن توفير علاجٍ ناجع ضمن متغيرين، هما:

**المتغير الأول:** تغيير اللغة من داخلها، من خلال الاستفادة من ظواهرها المختلفة؛ لتساير الأفراد والجماعات، وتواكب متطلباتها في جوانب الحياة كافةً، وذلك عبر ظواهرها التوادية، والاشتناقية، وحرارة الترجمة منها وإليها، وتعريب الكلمات التي تتوافق مع قواعدها، ومع ذوق المختصين فيها.

**المتغير الثاني:** تغيير اللغة من خارجها، وذلك بتغيير السياسات التي تتدخل في التأثير السلبي على مصير اللغة وحياتها؛ لتصير قويةً تقرُّ صلاحيتها، وتثبت أصولها، وتؤكد حاجة الأفراد والمجتمعات لها، فتقيم لها المجمع، وتوحد جهودها، وتبني صروح نهضتها، وتنبأها لغة للعلم والسياسة والإعلام والدين وشؤون الحياة كافةً؛ لتأخذ مكانها، وتتجاوز العراقيل التي تقع أو توضع في طريقها، من اندثارٍ، وتحريفٍ، وتقزيمٍ، وادعاءاتٍ، وحصرٍ، حتى ترجع لها مكانتها، وتتبوأ ما كانت عليه في سابق عهدها، وتزاحم اللغات في سبق الزمان والمكان والنفوذ، لاسيما وأنَّ العالم لم يعرف تطوراً أثر في لغاته أكثر مما عرفه اليوم. فالنتور هائلٌ، دخل إلى مناحي الحياة ومجالاتها كافةً، وسيستمر هذا ما دام التنافس والتصارع فيه قائمين، ليشمل الدين، والسياسة، والإعلام، والاقتصاد، والاجتماع، والصناعة. فحدِّث عن كثيرٍ من المصطلحات

والمفاهيم الجديدة في ذلك كله، منها العالمي المتداول في كل قطرٍ ومصر، ومنها ما قصير على لغةٍ ما. ولا غرابة من أن "هناك شبه إجماع على ثلاثة أمور، تُشكّل اقتناعاً مشتركاً بين جميع من يُعنى بحاضر اللغة العربية ومستقبلها، ويهتمّ بمعالجة مشكلاتها، وهي:

**الأول:** أن العربية قادرةٌ على استيعاب العلوم...

**الثاني:** أن معرفة أكثر المشتغلين من العرب بالعلوم المتداولة باللغة الإنجليزية لا ترقى معرفتهم إلى مستوى معرفة أهلها أنفسهم بها. فهم يستخدمون لغةً، لا يتقنونها إتقاناً كاملاً، ويهملون لغتهم التي يمكن أن يحققوا بها مستوى أداءٍ أفضل؛ فيزدادون ضعفاً على ضعف.

**الثالث:** أن مستوى الطلاب في الكليات العلمية لما يتلقونه بالإنجليزية أو الفرنسية ضعيفٌ، وهو أضعف – قطعاً – مما لو تلقوا موادهم بالعربية على أيدي أساتذة يحسنونها"<sup>(55)</sup>.

#### **العامل الثاني: الاستحواذ العسكري**

إنّ ما تملكه بعض الدول من قدرات عسكرية، وإمكانات قتالية، يفرض لها المهابة، ويزيد لها مساحة الاستحواذ، ويعزز وجودها، ويقوي شوكتها، ويسهل نشر سياستها، ويجعل فرضها أمراً واقعاً في بقاع الأرض الأقل قوة ومنعة منها، الشيء الذي يجعل غيرها بحاجة إليها في شراء المعدات والآلات والأسلحة والإمكانات العسكرية التي تنتجها، علماً أنها تطلق عليها أسماء، وتجعل لها دليلاً مفاهيمياً عامّاً ومفصلاً، وذلك كله باللغة نفسها. وإنّ حجم التكنولوجيا العسكرية الحديثة عند الدول الكبرى فاق كل تقدير، فهي كثيرة ومتعددة في النوع والوصف والوظيفة، كما أنّ ما تسيطر عليه تلك الدول بفضل القوة العسكرية مساحات شاسعة من العالم، فقد استطاعت بذلك أن تؤثر في لغات أصحابها، وتبسط لغتها في عموم حياتهم وتفاصيلها، وبالتالي يكون الاستحواذ العسكري عاملاً من العوامل المساهمة في تعزيز لغة القوي وتثبيتها.

#### **العامل الثالث: التقدم العلمي والتكنولوجي**

إنّ ما تنتجه بعض دول العالم من تقنيات علمية وأدوات وآلات ومعدات صناعية، وإمكانات في عالم الاتصال وغيره فاق الخيال، وقد دخلت لغات هذه الدول إلى تفاصيل تلك التقنيات، وما زالت تدفع كلّ يوم الجديد منها إلى الأسواق في أنحاء العالم، أنواعٌ كثيرة، وأشكال مختلفة، وأوصاف متعددة، ووظائف متفاوتة، كلها بلغة تلك الدول، فكان ذلك التقدم التكنولوجي فيها عاملاً من عوامل نشر اللغة، وسبباً من أسباب ذيوعها.

#### **العامل الرابع: الانتشار الإعلامي**

وسائل الإعلام متعددة، منها: (المكتوب/المقروء)، و(المنطوق/المسموع)، و(المصور/ المرئي)، وهي جميعاً لا تستغني عن اللغة؛ بل اللغة أدواتها في التعبير عن القضايا المختلفة. فتلك الوسائل قادرة على حمل أية رسالة إلى الناس ومخاطبتهم بها بما يسهم مساهمة بالغة في ذيوع اللغة وانتشارها، وقد يصل الحال إلى تأثر ملايين البشر بها، وكلما كانت الوسيلة قادرة على اجتياز حدود الدولة المكانية إلى دول أخرى استطاعت أن تؤثر في أكبر قدر من المخاطبين، وكلما كان الناس بحاجة إلى رسالة الخطاب؛ لسبب ما، أو

كان الخطاب جميلاً راقياً كان أثر انتشار اللغة أكبر وأوسع، كما أن قوة وسائل الإعلام وكثرتها عاملٌ من العوامل المهمة في انتشار اللغة وذبوعها.

#### العامل الخامس: التعداد السكاني والتمدد المكاني

تفاوتت الدول فيما بينها بحجم التوالد والإنتاج البشري، فبعض الدول بلغ عدد سكانها الأصليين حوالي (مليار نسمة)، وبالتالي هذا نفسه هو عدد المتحدثين بلغة الدولة على اختلاف لهجاتهم، كاللغة الصينية، بينما اقتصر عدد سكان (الفاتيكان) على (1000 نسمة). أمّا عدد المتحدثين باللغة (الإيطالية) فنسبته قد تصل إلى (600 نسمة)، وتوزع الباقون على لغات أخرى، منها: (اللاتينية والفرنسية)، وبين الدولتين دولٌ كثيرة تفاوتت أعداد سكانها، ومن الملاحظ في ذلك أن كثرة عدد السكان يسهم في نشر اللغة وذبوعها، بفضل سعة الاحتكاك مع الآخرين من أصحاب اللغات الأخرى في المجالات الحياتية كافة، كما أن قلة عدد السكان يهدد وجود اللغة، ويزعزع استقرارها، ويكبح استمرارها وانتشارها. أمّا سعة المكان وضيقة فيؤثر في انتشار اللغة وانحسارها، فكلما انتشر الناس في أماكن متعددة انتقلت اللغة معهم، وإذا انزروا وتوقفوا في مكان ما انحسرت اللغة وجمدت، ولم يكن لها تأثير في الآخرين.

#### العامل السابع: الديانات

لا يخفى عن عاقل أن كثيراً من الناس لديهم استجابة فطرية إلى الإيمان بالله تعالى، وذلك بفضل الديانات التي يتقدمها رسلٌ وأنبياء دعوا لها، وهم يسترشدون منهم ومن الكتب السماوية التي أنزلت إليهم، بغض النظر عما بينها من التقاء واختلاف، وضمن تلك الاستجابة هناك استجابة تلقائية بتلقي اللغة التي نطق بها المتمسكون بكل ديانة، والتي كُتبت بها كلُّ كتابٍ سماوي، ناهيك عن التفسيرات الدينية التي انبثقت رؤى أصحابها عن آثار الرسول الذي تنزلت الرسالة الدينية إليه، أو تفاسير الكتاب السماوي نفسه، وما يتبع ذلك من مؤلفات ودراسات، كلُّ ذلك كُتبت باللغة التي نزلت بها الكتب المقدسة، وأكثر اللغات التي توافقت مع كتابها المقدس ضبطاً ودقةً في كلماتها وتركيبتها ونصوصها، وزادت اللغة بها انتشاراً وسعةً وذبوعاً هي اللغة العربية، التي ينطق بها ملايين البشر، فضلاً عن تعهد الله تعالى بحفظها ضمناً مع حفظه للقرآن الكريم، بين ذلك قوله سبحانه، **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**، ويقول ابن تيمية – رحمه الله – "إنَّ الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفة إله إلا بضبط هذا اللسان، صارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين"<sup>(56)</sup>، ومن هنا يدرك كلُّ عاقلٍ أنَّ الدِّين سبب له أهميته في نشر اللغة وذبوعها، فالناس التي تحمل نفسها على الإيمان بما فيه، تستقي لغته، وكلما زاد هؤلاء عدداً زادت اللغة اتساعاً.

#### السبب الرابع: الانتشار الإعلامي

وسائل الإعلام متعددة، منها: (المكتوب/المقروء)، و(المنطوق/المسموع)، و(المصور/ المرئي)، وهي جميعاً لا تستغني عن اللغة؛ بل اللغة بأشكالها أدواتها في التعبير عن القضايا المختلفة، وإنَّ تلك الوسائل

لقدرة على حمل أية رسالة إلى الناس ومخاطبتهم بها بما يسهم إسهامًا بالغًا في ذبوع اللغة وانتشارها، وقد يصل الحال إلى تأثر ملايين البشر بها، وكلما كانت الوسيلة قادرة على اجتياز حدود الدولة المكانية إلى دول أخرى استطاعت أن تؤثر في أكبر قدر من المخاطبين، وكلما كان الناس بحاجة إلى رسالة الخطاب؛ لسبب ما، أو كان الخطاب جميلًا راقياً كان أثر انتشار اللغة أكبر وأوسع، كما أنّ قوة وسائل الإعلام وكثرتها عاملٌ من العوامل المهمة في انتشار اللغة وذبوعها، وهذا ما يجب أن تركز عليه الدول العربية، وأن تغذيه بما يصلح لغته، ويسندها ويعزز صوابها.

#### السبب الخامس: التعداد السكاني والتعدد المكاني

تفاوتت الدول فيما بينها بحجم التوالد والإنتاج البشري، فبعض الدول بلغ عدد سكانها الأصليين حوالي (مليار نسمة)، وبالتالي هذا نفسه هو عدد المتحدثين بلغة الدولة على اختلاف لهجاتهم، كاللغة الصينية، بينما اقتصر عدد سكان (الفايتكان) على (1000 نسمة)، وبلغ عدد المتحدثين فيها باللغة (الإيطالية) نسبة تصل إلى (600 نسمة)، ويتوزع الباقيون على لغات أخرى، منها: (اللاتينية والفرنسية)، وبين الدولتين دولٌ كثيرة تفاوتت أعداد سكانها، ومن الملاحظ في ذلك أنّ كثرة عدد السكان يسهم في نشر اللغة وذبوعها، بفضل سعة الاحتكاك مع الآخرين من أصحاب اللغات الأخرى في المجالات الحياتية كافة، كما أنّ قلة عدد السكان يهدد وجود اللغة، ويزرع استقرارها، ويكبح استمرارها وانتشارها. أمّا سعة المكان وضيقة فيؤثر في انتشار اللغة وانحسارها إذا ما حافظ أهل ذلك المكان على لغتهم الأم، وعلى تراثهم، وثقافتهم، وبعد ذلك كلما انتشر الناس في أماكن متعددة انتقلت اللغة معهم، كما أنهم لو انزروا وتوقعوا في مكان ما انحسرت اللغة وجمدت، ولم يكن لها تأثير في الآخرين.

#### العامل السابع: الديانات

لا يخفى عن عاقل أنّ كثيرًا من الناس لديهم استجابة فطرية إلى الإيمان بالله تعالى، وذلك بفضل الديانات التي يتقدمها رسلٌ وأنبياء دعوا لها، وهم يسترشدون منهم ومن الكتب السماوية التي أنزلت إليهم، بغض النظر عما بينها من التقاء واختلاف، وضمن تلك الاستجابة هناك استجابة تلقائية بتلقي اللغة التي نطق بها المتمسكون بكل ديانة، والتي كُتبت بها كلُّ كتابٍ سماوي، ناهيك عن التفاسير الدينية التي انبثقت رؤى أصحابها عن آثار الرسول الذي تنزلت الرسالة الدينية إليه، أو تفاسير الكتاب السماوي نفسه، وما يتبع ذلك من مؤلفات ودراسات، كلُّ ذلك كُتبت باللغة التي نزلت بها الكتب المقدسة، وأكثر اللغات التي توافقت مع كتابها المقدس ضبطاً ودقّة في كلماتها وتراكيبها ونصوصها، وزادت اللغة بها انتشاراً وسعةً وذبوعاً هي اللغة العربية، التي ينطق بها ملايين البشر، فضلاً عن تعهد الله تعالى بحفظها ضمناً مع حفظه للقرآن الكريم، بين ذلك قوله سبحانه، **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}**، ويقول ابن تيمية - رحمه الله - "إنَّ الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى الدين متكلمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفة إلا بضبط اللسان، صارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهنهم للسابقين الأوّلين" (57)، ومن هنا يدرك كلُّ عاقلٍ أنّ الدين سبب له أهميته في نشر

اللغة وذيوعها، فالتناس التي تحمل نفسها على الإيمان بما فيه، تستقي لغته، وكلما زاد هؤلاء عددًا زادت اللغة اتساعًا.

من أشكال هيمنة اللغات الأجنبية العالمية على اللغة العربية: قد برزت أشكال مقصودة وأخرى غير مقصودة، تؤكد محاولات تذويب هوية اللغة العربية الفصحى، وقد أعلن غير واحدٍ ممن تأثروا بالحضارة الغربية الحديثة عن بعض تلك الأشكال المتداخلة، التي يشكل حضورها حالة من الإرباك للسان العربي، ومن أبرز تلك الأشكال:

#### الشكل الأول: الحياة العامة

استعمال الشعوب العربية للغات الأجنبية خاصةً اللغة الإنجليزية في الحياة اليومية، وذلك في مجالات الحياة العامة كافة. ومن قنوات استعمالها: اللقاءات، مثل: (التحية – المغادرة – في ثيايا الكلام)، وفي الأماكن العامة على شكل منطوق أو مكتوب، كما هو في كثيرٍ من اللافتات والإعلانات التجارية لـ(المطاعم – الفنادق – المتاجر – المصانع – المؤسسات - وغيرها).

الشكل الثاني: الاستحواذ العلمي، في الحياة العلمية للمتعلم العربي، ومن قنوات استعمالها:

- 1- مقررات التعليم العام (المدارس)، ومقررات التعليم العالي (الجامعات – المعاهد – الكليات)، وبحوث التخرج، وإلقاء الكثير من المحاضرات، وشروحاتها.
- 2- عناصر التجارب العلمية، ومركباتها، وأنيثها، بمصطلحاتها ومفاهيمها، وشروحاتها.
- 3- أسماء الأدوات، والآلات، والمعدات على اختلاف وظائفها، وأسماء الأوعية العلمية، منها: كتب المعارف والعلوم التطبيقية الحديثة، والرسائل العلمية.

الشكل الثالث: الاستحواذ الإعلامي، ومن قنوات استعمالها:

- 1- الأعمال الفنية الدرامية، منها: الأفلام بأنواعها، والمسلسلات، وغيرها.
  - 2- الإعلانات المرشدة والتجارية المقروءة والمسموعة والمرئية.
- الشكل الرابع: الاستحواذ الأمني والعسكري، ومن قنوات استعمال اللغات الأجنبية خاصةً الإنجليزية:

- 1- الصناعة، والتجارة، والسياسة، والشؤون العسكرية، ووسائل التواصل، والتقنيات التكنولوجية.
- 2- أسماء الآلات الحديثة، وأجزائها، ووظائفها.
- 3- المصارف المالية، وأسماء المعاملات التجارية، ومصطلحاتها، ومفاهيمها.
- 4- المصطلحات السياسية ورموزها، ومفاهيمها.
- 5- أسماء وسائل الاتصال والتواصل، ورموزها، ومصطلحاتها، ومفاهيمها.

ومن أبرز العوامل التي تُسهم في تقوية اللغة العربية الأم وتعزيزها، ونشرها ما يلي:

العامل الأول: وجود سياسات داعمة للغة الأم في الدولة نفسها، وتأكيد القوانين التي تقر وجوب نشر اللغة العربية الأم في كل مرافق الدولة ومؤسساتها.

العامل الثاني: اعتماد تدريس السكان الأصليين أو الوافدين للغة الأم من خلال المؤسسات التعليمية عامةً، وجعل تعلم اللغة الأم مقدّمًا على تعلم اللغات الأخرى.

**العامل الثالث:** اعتماد اللغة الأم في وسائل الإعلام المختلفة التي تخاطب الملايين من الناس.

**نتائج البحث:** خلص البحث في موضوعه إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها ما يلي:

**أولاً:** أكد البحث قدرة اللغة العربية الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية والأسلوبية على احتواء العلوم المختلفة، بما فيها العلوم التطبيقية، كعلم الطب، وعلم الهندسة، وعلوم غيرهما.

**ثانياً:** أكد البحث أنّ اللغة العربية استطاعت قديماً احتواء العلوم المختلفة، رغم أن كثيراً من العلوم لم يكن معروفاً عند العرب؛ ولم تذكر الكتب عوائق اعترضت طريق العربية، لا في حال الترجمة، ولا في حال التأليف.

**ثالثاً:** أكد البحث أنّ ركود العلوم التطبيقية عند العرب في القرنين الأخيرين كان سبباً رئيساً في عدم مواكبة اللغة العربية لها؛ لكونها لم تتضج ولم تكتمل، ولم يكن العرب مكثرين لها؛ بسبب انشغالهم عنها، وانصرافهم لغيرها، وبالتالي تعطلت كثيراً من جهود اللغويين تجاه العلوم التطبيقية بوجه خاص.

**رابعاً:** أكد البحث أنّ سياسات الوطن العربي تجاه اللغة العربية تحتاج إلى تعديل وإكمال وجدية في اتخاذ القرارات الداعمة لها التي تهيئ لها البقاء، وتسهم في الحفاظ عليها؛ لتكون لغة العلم الحديث.

**خامساً:** كشف البحث أنّ الوطن العربي شهد تراجعاً ملحوظاً في التطور العلمي، وذلك في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، وبالتالي تأخرت حركة التأليف والترجمة للكتب العلمية، وإن بدأت في النهوض البطيء المحفوف ببعض المآخذ والمعوقات، فضلاً عن عدم الإنتاج العلمي المثمر على أصعد عدة، مما أثار عوامل أثرت في اللغة العربية سلباً، وذلك في القرن العشرين، مع اتساع العلوم، وتسابق الدول فيها.

**سادساً:** يتضح مما سبق أنّ حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى فيما يتعلق بالعلوم التطبيقية أشبه بالعدم؛ لتوقف العرب عن تطوير العلوم، وسيادة الهيمنة العلمية وغيرها على الدول العربية. وفي المقابل هناك حركة للترجمة من اللغات الأجنبية للعربية تتردد بين نسب الضعف.

#### **التوصيات:**

**أولاً:** يوصي البحث بتغيير سياسات الوطن العربي تجاه اللغة العربية، واتخاذ القرارات الداعمة التي تهيئ لها البقاء، وتسهم في الحفاظ عليها؛ لتكون لغة العلم الحديث.

**ثانياً:** يوصي البحث بتجميع جهد المجامع اللغوية العربية، وتفريع الشعب المختصة بمتابعة الجديد من العلوم، وإشغال الدارسين؛ للبحث فيها، ووضع ما يناسبها من تراجم، ومقابلات.

**ثالثاً:** يوصي البحث الجامعات والكليات أن تُقرّ مساقاً دراسياً، يتضمن ملخصاً عن جهود العرب والمسلمين لمؤلفاتٍ علميةٍ تشمل العلوم كافة؛ سواء أكانت المؤلفات غير عربية فترجمت للعربية أم كانت مؤلفاتٍ عربية وكتبت بالعربية؛ وذلك بهدف تأكيد أنّ اللغة العربية وسعت وإمكانها أن تتسع للعلوم كافة، دون عائق، كما يمكنها احتواء المؤلفات من اللغات الأخرى عن طريق الترجمة.

**رابعاً:** يوصي البحث بضرورة إشغال الطلبة في الدراسات العليا بدرجتي (الماجستير والدكتوراه)، بتتبع المصطلحات العلمية في الاختصاصات كافة، والبحث عن مقابلات لها في العربية، واستنبات ما يناسبها.



**خامساً:** لا بدّ من دراسة أشكال هيمنة بعض اللغات الأخرى على العربية بأنواعها كافة، مع الوقوف عند أسبابها، وآثارها، وتدارك الأمر، والبحث؛ بل والعمل على علاجها الجاد، بما يحقق الحفاظ على اللغة العربية قوية.

### الهوامش:

- <sup>1</sup> سعيد، نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، 46.
- <sup>2</sup> بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، 193.
- <sup>3</sup> الجندي، أنور، المؤامرة على الفصحى لغة القرآن، 17.
- <sup>4</sup> ابن تيمية، أحمد تقي الدين، اقتضاء الصراط المستقيم، 399 – 1/400.
- <sup>5</sup> شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، 44.
- <sup>6</sup> الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، 10.
- <sup>7</sup> بشر، دراسات في علم اللغة، 194.
- <sup>8</sup> بشر، دراسات في علم اللغة، 196.
- <sup>9</sup> عباس، فضل حسن، البلاغة – فنونها وأفنانها – علم المعاني، 22.
- <sup>10</sup> بشر، دراسات في علم اللغة، 197.
- <sup>11</sup> بشر، دراسات في علم اللغة، 198.
- <sup>12</sup> عمارة، حليلة، بحث بعنوان: (صوت القاف بين كتب التراث والتحليل الصوتي الحديث)، 4.
- <sup>13</sup> بشر، دراسات في علم اللغة، 198.
- <sup>14</sup> الموسى، أنور عبد الحميد، أبجديات: اللغة وعلم الأصوات واللسانيات، 136.
- <sup>15</sup> بشر، دراسات في علم اللغة، 198.
- <sup>16</sup> منصور، إبراهيم، الأصوات اللغوية، 59، وشاهين، توفيق محمد، علم اللغة العام، 106.
- <sup>17</sup> شاهين، توفيق محمد، علم اللغة العام، 106.
- <sup>18</sup> محجوب، فاطمة، دراسات في علم اللغة، 107- 108، ويُنظر، خليل، حلمي، الكلمة – دراسة لغوية معجمية، 103.
- <sup>19</sup> جنيّ، يوسف، والخطيب، أحمد شفيق، قاموس جنيّ الطبي، إنكليزي-عربي، X.
- <sup>20</sup> جنيّ، قاموس جنيّ الطبي، X.
- <sup>21</sup> خليل، حلمي، الكلمة – دراسة لغوية معجمية، 106.
- <sup>22</sup> خليل، الكلمة – دراسة لغوية معجمية، 106.
- <sup>23</sup> خليل، الكلمة – دراسة لغوية معجمية، 105.
- <sup>24</sup> ألفاظ المسرد مرتبة ألفبائياً؛ وفقاً لحروفها الأولى دون تجريد، ضم مئات آلاف المصطلحات الطبية العلمية.
- <sup>25</sup> جنيّ، قاموس جنيّ الطبي، إنكليزي – عربي، XI.
- <sup>26</sup> جنيّ، قاموس جنيّ الطبي، إنكليزي – عربي، X.
- <sup>27</sup> أبو حويج، عارف، وآخرون، المختصر في المصطلحات الطبية، 8.
- <sup>28</sup> الخطيب، عماد، وآخرون، دليل المصطلحات الطبية، 6.
- <sup>29</sup> الخطيب، دليل المصطلحات الطبية، 5.
- <sup>30</sup> خليل، حلمي، الكلمة – دراسة لغوية معجمية – 104.
- <sup>31</sup> الحاج، وليد، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، 186.
- <sup>32</sup> خورشيد، إبراهيم، الترجمة ومشكلاتها، 38.
- <sup>33</sup> المناوي، محمود فوزي، العلم واللغة، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 46.
- <sup>34</sup> عبد الفتاح، علي، أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، 800.

- <sup>35</sup> موسوعة الشروق، الناشر: دار الشروق، 76.
- <sup>36</sup> عن المثائث الكروية والمستوية، كما ترجم للفرنسية.
- <sup>37</sup> عبادة، حسان، أعلام العلماء العرب والمسلمين، 126-127.
- <sup>38</sup> عبد الفتاح، علي، أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، 800.
- <sup>39</sup> العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، علم اللغة النفسي، 399-467.
- <sup>40</sup> العصيلي، علم اللغة النفسي، 399-468.
- <sup>41</sup> الخوري، شحادة، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، ج2، 32.
- <sup>42</sup> مجموعة خبراء الهندسة الاجتماعية، الترجمة - قضايا ومشكلات ج2، 39.
- <sup>43</sup> الحاج، وليد، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، 180.
- <sup>44</sup> المناوي، محمود فوزي، العلم واللغة، متى يتكلم العلم العربية؟ 41.
- <sup>45</sup> المناوي، العلم واللغة، متى يتكلم العلم العربية؟ 43.
- <sup>46</sup> ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، 1/400.
- <sup>47</sup> المناوي، محمود فوزي، العلم واللغة، 4.
- <sup>48</sup> عبد الرحمن، طالب، كتاب الأمة - نحو تقويم جديد للكتابة العربية ع-69، 29.
- <sup>49</sup> يُنظر؛ عبد الرحمن، كتاب الأمة - نحو تقويم جديد للكتابة العربية ع-69، 23.
- <sup>50</sup> منقول عن أخبار قناة الجزيرة على الشبكة، يوم الأربعاء، 1421/10/22هـ، الموافق، 1/17/2001م، 85.
- <sup>51</sup> منقول عن أخبار قناة الجزيرة على الشبكة، يوم الأربعاء، 1421/10/22هـ، الموافق، 1/17/2001م، 86.
- <sup>52</sup> يُنظر، عبد الرحمن، كتاب الأمة - نحو تقويم جديد للكتابة العربية ع-69، 23.
- <sup>53</sup> منقول عن أخبار قناة الجزيرة على الشبكة، يوم الأربعاء، 1421/12/10هـ، الموافق، 3/5/2001م، 85.
- <sup>54</sup> شاهين، عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، 78، ويُنظر؛ مخلوفي، زكرياء، ملخص بحث بعنوان: (واقع اللغة العربية في عصر العولمة)، ع21، 102.
- <sup>55</sup> شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، 366.
- <sup>56</sup> ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، 1/402.
- <sup>57</sup> ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، 1/402.

## المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، كلام الله تعالى.

- بشر، كمال، (1998): دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- الجابري، محمد عابد، (1984): تكوين العقل العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت.
- الجندي، أنور، (1985): المواجهة على الفصحى لغة القرآن، دار بو سلامة، تونس.
- الحاج، وليد، (2012م): اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، ط1، دار المستقبل، عمان.
- جني، يوسف، وأحمد شفيق الخطيب، (2004): قاموس جني الطبي، إنكليزي-عربي، ط8، مكتبة لبنان، لبنان.
- حسان، تمام (1998م): اللغة العربية - مبناها ومعناها - ط3، عالم الفكر، القاهرة.
- أبو حويج، عارف، وآخرون، (2012م): المختصر في المصطلحات الطبية، ط1، مكتبة المجتمع العربي، عمان.
- الخطيب، عماد، وآخرون (2007): دليل المصطلحات الطبية، مكتبة اليازوري.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (1377): المقدمة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار المعرفة، بيروت.

- خليل، حلمي (1998): الكلمة - دراسة لغوية معجمية - دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية.
- خورشيد، إبراهيم، (1985): الترجمة ومشكلاتها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الخورى، شحادة، (1997م): دراسات فى الترجمة والمصطلح والتعريب، ط1، دار المعرفة، بيروت.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (1996): سير أعلام النبلاء، ط1، مؤسسة الرسالة.
- شاهين، توفيق محمد (1980م): علم اللغة العام، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة.
- شاهين، توفيق محمد (1980م): المشترك اللغوي، مكتبة وهبة، القاهرة.
- شاهين، عبد الصبور، (1986م): العربية لغة العلوم والتقنية، ط2، دار الاعتصام، القاهرة.
- الصالح، صبحي (1960): دراسات فى فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت.
- عبادة، حسان (2013): أعلام العلماء العرب والمسلمين، ط1، المعزز للنشر والتوزيع.
- عباس، فضل حسن، (1997): البلاغة - فنونها وأفانيتها - علم المعاني، ط4، دار الفرقان للنشر.
- عبد الرحمن، طالب، (1999م): كتاب الأمة - نحو تقويم جديد للكتابة العربية - ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع69، قطر.
- عبد الفتاح، علي، (2010م): أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، ط1، دار ابن حزم.
- العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم، (2006م): علم اللغة النفسى، ط1، وزارة التعليم العالى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، المملكة العربية السعودية.
- عمايرة، حليلة (2017): صوت القاف بين كتب التراث والتحليل الصوتى الحديث، جامعة البلقاء، إربد.
- فروخ، عمر، (1970م): تاريخ العرب، دار العلم للملايين، بيروت.
- محبوب، فاطمة، (2011): دراسات فى علم اللغة، ط1، دار السلام للطباعة.
- مخلوفي، زكرياء، (2014م): ملخص بحث بعنوان: واقع اللغة العربية فى عصر العولمة، مجلة الأثر، ع21، كلية الآداب واللغات، جامعة الطارف، الجزائر.
- أبو معزة، رابع، (2011م): صور المشتقات الأحد عشر والمصادر المحوالة - توجيهها الصوتى والدالى - الربع الثانى من القرآن الكريم أنموذجاً، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مكتب التربية العربى لدول الخليج، دت، الترجمة - قضايا ومشكلات وحلول، لمجموعة خبراء الهندسة الاجتماعية.
- المنواوي، محمود فوزي (2013). العلم واللغة، متى يتكلم العلم العربية؟ المكتبة الأكاديمية، القاهرة.
- أنيس، إبراهيم، (1975). الأصوات اللغوية، مكتبة وهبة، القاهرة.
- الموسى، أنور عبد الحميد، (2016م): أبجديات: اللغة وعلم الأصوات واللسانيات، ط1، دار النهضة العربية، بيروت.
- مراجع أخرى:
- قناة الجزيرة على الشبكة، يوم الأربعاء، 2022/10/14، الموافق، 2001/1/17م.
- موسوعة الشروق، الناشر: دار الشروق، رئيس التحرير: محمد المعلم، القاهرة.

## References:

- Ababdah, Hassan (2013): Elite Arab and Muslim Scholars, 1st edition, Al-Moataz for Publishing and Distribution .
- Abbas, Fadl Hassan (1997). Rhetoric - Its Arts and Branches - Semantics, 4th edition, Dar Al-Furqan for publishing - Abdel Rahman, Talib, (1999): The

- Nation Book - Towards a New Evaluation for Arabic Writing - First Edition, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, No. 69, Qatar.
- Abdel-Fattah, Ali, (2010). Elite of Creative Arab and Muslim scholars, 1st edition, Dar Ibn Hazm .
- Abu Hawij, Arif, et al., (2012). The Synopsis in Medical Terminology, 1st Edition, Arab Community Library, Amman.
- Abu Mazah, Rabeh, (2011). Types of the Eleven Derivations and the transferred sources - their audio and semantic guidance - the second quarter of the Holy Qur'an as a Model, 1st edition, The parlor of scientist books, Beirut.
- Al-Dahabi, Shams Al-Din Mohammed bin Ahmed (1996): Biographies of the Elite of the Nobles, 11th Edition, Al-Risala Institution.
- Al-Hajj, Walid, (2012): Arabic language and modern means of communication, 1st edition, Dar Al-Mustaqbal, Amman
- Al-Jabri, Mohammed Abed, (1984). Forming the Arab Mind, Dar Al-Tale'ah for Printing and Publishing, Lebanon, Beirut.
- Al-Jazeera on the Network, on Wednesday, 10/22/1421 AH, corresponding to 17/1/2001 AD.
- Al-Joundi, Anwar, (1985): The conspiracy against Classical Arabic, the language of the Qur'an, Dar Bou Salama, Tunis.
- Al-Khatib, Emad et al. (2007). Directory of Medical Terminology, Yazuri Library .
- Al-Khoury, Shehadeh, (1997): Studies in translation, terminology and Arabization, 1st edition, Dar Al-Marefa, Beirut.
- Al-Manawi, Mahmoud Fawzi(2013): Science and Language, When Does the Science Speak Arabic? Academic Library, Cairo.
- Al-Mousa, Anwar Abdel-Hamid, (2016): ABCs: Language, Phonology and Linguistics, 1st edition, Arab Renaissance Publisher, Beirut.
- Al-Osaybli, Abdel Aziz bin Ibrahim, (2006): Psycholinguistics, 1st edition, Ministry of Higher Education, Imam Mohammed bin Saud Islamic University, Deanship of Scientific Research, Saudi Arabia
- Al-Saleh, Sobhi(1960): Studies in Philology, *Dar El Ilm Lilmalayin* Publishers
- Al-Shorouk Encyclopedia, Publisher: Dar Al-Shorouk, Editor in Chief: Mohamed Al-Moallem, Cairo.
- Amayreh, Halima(2017). the sound of Qoph between heritage books and modern phonemic analysis, Al Balqa University, Irbid
- Arab Bureau of Education for the Gulf States, (D.T), Translation - Issues, Problems and Solutions, for a group of experts in social engineering.
- Bishr, Kamal (1998). Studies in Linguistics, Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution, Cairo.
- Farrukh, Omar, (1970). History of the Arabs, *Dar El Ilm Lilmalayin* Publishers, Beirut.
- Hassan, Tammam (1998). The Arabic Language - Its Structure and Meaning - 3rd edition, The World of Thought, Cairo

- Hatti, Youssef, and Ahmad Shafiq Al-Khatib, (2004). Hatti Medical Dictionary, English-Arabic, 8th Edition, Library of Lebanon, Lebanon
- Ibn Khaldun, Abdel Rahman(1377): Introduction, investigation: Mohammed Abu al-Fadl, The Dar Al-Marefa, Beirut.
- Khalil, Helmy(1998). The Word - Lexical Linguistic Study – University Knowledge Publisher,Alexandria University.
- Khorshid, Ibrahim, (1985). Translation and Its Problems, The Egyptian General Book Authority, Cairo.
- Mahjoub, Fatima, (2011). Studies in linguistics, 1st edition, Dar Al Salam for printing.
- Makhloufi, Zakaria (2014). A Research Summary Entitled: The Reality of Arabic Language in the Era of Globalization, *Al-Athar Journal*, No. 21, College of Arts and Languages, University of El Taref, Algeria.
- Mansour, Ibrahim(1975): Language Sounds, Wahba Library, Cairo.
- Shaheen, Abdel-Sabour, (1986). Arabic, the Language of Science and Technology, 2nd edition, Dar Al-Itesam ,Cairo.
- Shaheen, Tawfiq Mohammed (1980). The Common Language, Wahba Library, Cairo
- Shaheen, Tawfiq Mohammed:(1980). General Linguistics, 1st edition, Wahba Library, Cairo.
- The Holy Qur'an, the word of Allah, the Almighty– .